
حسن الجندي
CITY OF DEAD
الطبعة 9
مخطوطة بن اسحاق
مدينة الموتى
مكتبة نوميديا 146
Telegram@ Numidia_Library
دار اكتب

مخطوطة ابن إسحاق

مدينة الموتى

إهداء

إلى روح صديقي الغالي (يوسف)..

غفر الله لك ولأصدقائنا..

مخطوطة ابن إسحاق

(1)

مدينة الموتى

رواية

حسن الجندي

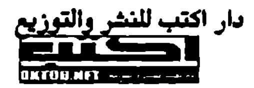
تدقيق لغوي : أحمد عبد المجيد

تصميم الغلاف: حاتم عرفة

رقم الإيداع: 2009/11322

I.S.B.N: 978- 977- 6297- 06- 3

دار اكتب للنشر والتوزيع



الإدارة : 10 ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور،

المرج الغربية، القاهرة .

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : 01144552557 - 01147633268

E – mail :daroktob1@yahoo.com

Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع .

الطبعة التاسعة، 2015م

مخطوطة ابن إسحاق

مدينة الموتى

حسن الجندي

رواية



دار اكتب للنشر والتوزيع

مقدمة

ظل الشاب مغمض العينين وهو يرتجف، ومن جسده تخرج اهتزازات خفيفة دلالة على الخوف، أما من خلفه فقد تحرك ذلك الكائن الغريب وهو يتجه ناحيته.

كان الكائن متوسط الطول لا يرتدي شيئًا تقريبًا، ولكن الغريب أن جلده كان مغطىً بالكامل بالشعيرات الطويلة، وفي أعلى رأسه وبين الشعيرات كان هناك قرنان صغيران يخرجان منه.

أما الشاب فكان يرتدي ملابس غريبة بعض الشيء لا تمت لهذا العصر.

ملامح الشاب غريبة، تعطيك انطباعًا من أول مرة أنها ليست ملامح عربية، ربما كانت في وجهه لمحة من الوسامة لا تخفى على أحد، بالرغم من حدة وجهه والتصاق حاجبيه.

مشهد غريب جدًا، فالشاب يقف في غرفة خالية تمامًا وهناك شمعة صغيرة بجانبه على الأرض، أما الشاب نفسه فقد كان مغمض العينين وقد أعطى ظهره للكائن، فهو لم ينسَ التحذير الذي سمعه قبل أن يحضر الكائن، يجب عليه أن يُغمض عينيه ولا ينظر خلفه أبدًا في فترة حضور ذلك الكائن.

كان الحوار يجري بينهما بلغة غريبة تشبه العربية، أعتقد أنها الفارسية.

- ماذا تريد أيها الطفل؟!

انطلقت تلك العبارة من لكائن، انطلقت بنبرات خائفة جعلت الخوف يسري في جسد الشاب الذي رد بنبرات مرتعشة:

- أريد القوة، القوة المطلقة والأمان باقي حياتي.

اقترب الكائن من الشاب أكثر حتى أصبح على مسافة سنتيمترات منه، ثم اقترب برأسه من أذنه وقال:

- إذا أردت القوة سنعطيك بعضها، ولكن إذا أردت السيطرة فيجب عليك تقديم قرابين من البشر!

قال الشاب وهو يرتجف:

- أوافق!

فقال الكائن:

- إذن أدر وجهك لي ولا تفتح عينيك، ونفذ كل ما أقوله لك.

1

مخطوطات وأشياء أخرى

التفت (يوسف) إلى صديقه قائلاً:

- ما رأيك في سور الأزبكية؟

- ممل لدرجة رهيبة، ماذا أستفيد من بعض الأكشاك التي تبيع كتبًا قديمة لا تساوي شيئًا؟

- لكن انظر إلى تلك الجنة، كل ما تحتاجه من الكتب القديمة ذات الورق الأصفر العتيق والغلاف السميك الذي يُشعرك بأنك تُمسك التاريخ نفسه بين يديك.

لقد كانت تلك هي الزيارة الأولى لـ (يوسف) إلى سور الأزبكية، كان يسمع عنه قديمًا ورسم له في مخيلته أنه سور طويل والباعة يفترشون الكتب على الأرض، لكنه صُدم من تلك الطريقة الغريبة في رص الأكشاك الخشبية بجانب بعضها البعض، التي تُشعره أنه ذاهب إلى السوق ليشتري خضارًا أو فاكهة، ولكنه استمتع برؤية كل تلك الكتب التي كان يحلم باقتنائها، فقد تربى على مجلات مثل

(ميكي) و(سمير)، وعندما زاد عمره قرأ روايات رومانسية وبوليسية وبعض روايات الرعب، ولكنه شعر بأنه يجب أن يقرأ كتبًا كبيرة الحجم ثقيلة الوزن، فربما أعطته تلك الكتب العلم الوفير الذي يحلم به.

- تفضل يا سيدي، ستجد عندي ما تريده.

جاءت تلك الجملة من أحد باعة الأكشاك لـ (يوسف)، ولأنه لم يكن معتادًا على تلك الطريقة من الباعة فقد اعتبر تلك العبارة مودة زائدة، لكنه اتجه لصاحب الكشك.

- تحت أمرك.

- أريد كتابًا قديمًا.

- ما اسمه؟

- لا أعرف!!

- ماذا؟!

- أريد أي كتاب قديم يتحدث عن شيء مهم.

وبالطبع لم يتمالك البائع نفسه من الضحك حتى احمر وجه (يوسف) خجلاً.

- عندما تعرف ما تريد فأنا تحت أمرك.

فذهب (يوسف) إلى كشك آخر ينظر داخله، ليرى خليطًا غريبًا من كتب دينية وكتب فضائح وكتب سياسية وكتب جنسية ومجلات

أجنبية وعربية، ولكنه شعر بخيبة الأمل، فقد بدأ يُدرك أنه لا يعرف ماذا يريد من البداية، وأنه لن يرى ما يريده، بل هو يسير هو وصديقه لينظر إلى الكتب بانبهار ويبحث عن الكتب القديمة، التي يعرُف في داخل نفسه أنه لن يشتريها.

– لقد تعبت من المشي، هيا بنا نستريح على ذلك المقعد الحديدي.

كانت تلك العبارة من صديق (يوسف).

فأجابه:

– كشك أو اثنان ونعود للمترو مرة أخرى.

وهنا رأى (يوسف) رجلاً عجوزًا يجلس داخل كشك – أمام المقعد الحديدي – على الأرض، فجذبه المنظر ودخل إلى ذلك الكشك

– السلام عليكم يا حاج.

نظر العجوز ببطء إلى (يوسف) لتظهر أن عين الرجل اليسرى بيضاء تمامًا ووجهه مليء بالتجاعيد.

– وعليكم السلام يا بني.

– هل تبيع كتبًا قديمة يا حاج؟

ضحك العجوز بطيبة وقال:

- يا بني أنا لا أمتلك غير الكتب القديمة، ابحث في الكتب التي على الأرفف واختر منها ما شئت.

فرح (يوسف) بهذا العرض الذي سيجعله يرى أسماء الكتب بدون أن يدفع مليمًا واحدًا، ناهيك عن أن هذا كان أول عرض يتلقاه بأن يبحث بنفسه، وبالفعل بدأ البحث ورأى الكثير من الأسماء.

(حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح)

(مذبحه القلعة برؤية جديدة)

(نظم الملك)

(العرائس)

(تهافت التهافت)

(انهيار دولة البطالة)

ولكنه جاء إلى مجموعة كتب بعينها تم ربطها بحبل غليظ، يدل أثر الحبل على غلاف الكتاب أنه مربوط منذ مدة، ففك الحبل وبدأ في قراءة أسماء تلك الكتب باستغراب!!

(الهياكل السبع للحكيم المزود بن الرملي)

(الدر والترياق للغزالي السوداني)

(الأجناس لأصف بن برخيا)

(حرب الجان للقاضي عبد الجبار المعتزلي)

(شمس المعارف الكبرى لأحمد بن البوني)

(الأربعون الإدريسية)

(المفتاح الكبير لسليمان)

(الدر المنظم في السر الأعظم لمحمل القيرواني)

(النور المبين في تحضير القرين)

لا يعلم (يوسف) لم اقشعر من أسماء تلك الكتب! ربما من ملمسها؟ لا يعرف لكنه رأى كتابًا شد انتباهه، في الواقع لم يكن كتابًا بالمعنى الحرفي، بل هو سبع ورقات من الحجم الكبير، وهناك خيط يجمعها من جانبها الأيمن كي لا ينفك الورق، ولكن ما شده أكثر هو ملمس الورق، فقد كان ورقًا خشنًا وسميكًا.وقد كُتب في أول ورقة من الأعلى بخط يدوي:

(عن رواية الرحالة أحمد بن إسحاق البغدادي)

فنظر (يوسف) لصاحبه وقال:

- ما رأيك بهذا الورق؟!

- بالتأكيد هذا الورق يتحدث عن هراء من شاكلة ابن فلان قابل ابن علان يوم كذا وكذا، وقد أمر الوالي بذبحهما بعد خيانتهما له، صدقني لن تحب هذا الهراء، ستجد مثله كثيرًا في كتب تاريخ الثانوية العامة التي درسناها.

- ولكن يبدو من ملمس الورق أنه قديم، ربما كان نادرًا كذلك، وبالتالي سعره سيكون مرتفعًا ولن أشتريه بالتأكيد، دعني أسأل عن سعره من باب الفضول لا أكثر.

- بكم ذلك الكتاب يا حاج؟

ولوح (يوسف) بالورقات ناحية العجوز ليراها، ولكن العجوز رد بسرعة:

- عشرة جنيهات.

- ماذا؟!!

- عشرة جنيهات يا بني، أي كتاب عندك بعشرة جنيهات.

هنا نظر (يوسف) لصاحبه بدهشة ثم قال:

- سأشتري هذا الورق.

كاد صاحبه يموت من الغيظ، وكاد يعترض إلا أنه أخرسه بأن أخرج من جيبه عشرة جنيهات ليعطيها للرجل، وقربها من يده دون كلام، ولكن الرجل لم يتحرك وكأنه لا يراه، فنادى (يوسف) على الرجل:

- يا حاج، تفضل النقود.

وهنا رفع العجوز يده المعروقة ملوحًا بها في الهواء باحثًا عن النقود قائلاً:

- سامحني يا بني، لأنني لا أرى جيدًا بعيني الوحيدة، فأنت تعرف أحكام السن.

أدرك هنا لم لم ينتبه العجوز للورق الذي يحمله، فربما كانت قيمته أكثر من عشرة جنيهات ولكن ضعف نظر العجوز جعله لا يلاحظ ما أخذه، لقد عقد صفقة رابحة للغاية.

***

ظل (يوسف) جالسًا أمام شاشة الكمبيوتر كعادته في أجازة نصف العام التي قاربت على الانتهاء، يتابع المنتديات وبريده الإلكتروني بملل، ولكن قبل الفجر بما يقرب من الساعة دخل شخص يطلب الحديث مع (يوسف) على إيميله الخاص به، كان صاحبه الذي رافقه منذ أيام في سور الأزبكية.

- كيف حالك؟

- الحمد لله.

- لم أرك منذ زمن.

- زمن! لقد كنت معك أول أمس في سور الأزبكية، يوم ابتعت الورق الغريب، ما رأيك فيه؟

- لم أقرأه بعد، ولكنني سأقرأه قريبًا.

وسارت المحادثة بينهما بعد ذلك بشكل عادي قرابة نصف الساعة حتى انتهت، ولكن (يوسف) شعر أنه لكي يُرضي ضميره على الجنيهات العشرة التي دفعها في الورق، فيجب عليه قراءته، لذلك قام ليحضره ووضعه أمامه.

سبع ورقات من الحجم الكبير، والكثير من الكلام مطموس، بل وفي بعض المواضع تداخلت بعض العبارات البسيطة على بعضها، ولكن بشيء من العسر يمكن تبين كنه الكلمات.

(عن رواية الرحالة أحمد بن إسحاق البغدادي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

بسم الله الرحمن الرحيم الغفور الحليم خالق الجبال وقاهر الجبابرة مالك السموات والأرض رافع السموات بغير أعمدة، وفقنا الله يوم النفخ في الصور ويوم العرض عليه وأدخلنا جنته وحفظنا من ناره، كتب سيدي وشيخي العلامة ابن إسحاق في كتابه كنز الرحلة بعنوان مدينة الموتى في فصل رحلته إلى مصر * أنه سار من إحدى قرى الصعيد حتى أهلكه التعب فرأى على مرمى البصر سورًا طويلاً يتوسطه باب عظيم، فاقترب منه، فرأى على السور نقش كلمات كأروع ما يكون، تقول * يا معشر الإنس والجن لا تقربوا هذه البلدة فإن أهلها نيام حتى تقوم الساعة، فإذا دخلتم اليوم فليرحمكم الله، وإذا لم تدخلوا لا تذكروا موضعها حتى لا يراها غيركم، ولكم يوم الحساب جزاء على أفعالكم وسيسألكم الله جل وعل كيف حفظتم سر هذه البلدة * فلم يتمالك ابن إسحاق نفسه فربط ناقته عند السور ودخل من الباب الحديدي وسار وحيدًا * فكانت البلدة كأحد أحياء القاهرة، ولكن العجب كأنها بلا بشر، فالحوانيت مفتوحة وجاهزة لعرض بضاعتها ولكن لا بشر سوى ابن إسحاق * فسار حتى خرج عليه من أحد الحوانيت رجل أسود اللحية عظيم الشحم

أبيض البشرة يقبض بيده اليمنى على عصا كبيرة * اقترب الرجل من ابن إسحاق ودعاه لأن يستريح في بيته، وقال بأنه لحاد البلدة وأنه يكنى بمحمد السالمي * وحدثه اللحاد أن مرضًا غريبًا اجتاح البلدة فمات كل من فيها * فدخل ابن إسحاق بيت الرجل * وسأله عما حدث للبلدة، فقص الرجل على شيخنا قصة عجيبة * منذ سنين طويلة كانت البلدة مزدهرة ومليئة بالتجار من كل البلاد وكل الأجناس، حتى جاء فتى من بلاد الفرس يدعى الحي بن القصاب، وكان يفعل العجائب، فكان يجري على الماء ويطير فوق الأرض ويقول كلمات فيتحول الماء إلى عسل * وإذا لمس جدارًا أو بيتًا تصاعد من حوله صوت قوي ثم يتحول البيت إلى ذرات وفتات * ثم أعلن الفتى عن أنه في مقدوره أن يُحول الفقراء إلى أغنياء، وأنه يحتاج إلى أربعة من البشر ليثبت صدقه * فتقدم إليه أحمد بن يزيد صانع السجاد ويوسف العطار وأحمد بن إبراهيم بن محمد وشاب فقير يدعى إسماعيل الحلاج، واجتمع بهم الفتى الفارسي في بيته الذي اشتراه عند وصوله البلدة * وقضوا الليل عنده وفي الفجر خرج من البيت الأربعة فقراء، ولم يخرج الساحر ولم نجد له أثرًا * ورأينا في أيدي كل منهم مفتاحًا ضخمًا لخزائن كبيرة تحت دار كل منهم، تحتوي على ذهب وأشياء بديعة الصنع براقة المنظر * فاتت سبع ليالٍ وحضر أهل البلدة ليروا أحمد بن يزيد وقد سال من حلقه سائل أبيض وأخذ يقول كلمات غريبة وكأنه يخاطب.. (جزء غير واضح من الورق).. فوقع أرضًا وقد أصيب بالحمى وأخذ يشكو أنه رأى في منامه وكأنه يُحمل من أربعة رجال طوال البنية سود الوجوه صلع

الرؤوس حمر الأعين أنزلوه على صخرة * وتقدم منه رجل.. (جزء غير واضح من الورق).. فذبحه الرجل بعد أن قرأ عليه الكلمات * وأخذ أهل البلدة يداوونه من الحمى * وعند اقتراب الفجر سمع جميع أهل البلدة صفيرًا طويلاً وكأنه صفير الرياح * وبعد انقطاع الصفير خرج من فم وأنف وعين أحمد بن يزيد دماء كثيرة حتى توفاه الله عند الشروق * بعد سبعة أيام أصاب أحمد بن إبراهيم بن محمد ما أصاب أحمد بن يزيد * وروى لنا نفس الحلم الذي رواه لنا أحمد بن يزيد، وعند الفجر سمعنا الصفير وخرجت الدماء منه ومات *.. (جزء غير واضح من الورق) فسمعنا الصفير وعرفنا أن يوسف العطار سيموت * ومات يوسف العطار بعد أن خرج الدم من جسده * طلع الصبح علينا ورأينا إسماعيل الحلاج وهو يغادر البلدة ويخرج وحيدًا إلى الفلاة، فسألناه ولكنه لم يُجبنا غفر الله له * بعد سبع ليالٍ أصيب أهل البلدة بمرض غريب، فكان الواحد منهم يُصرع في الأرض ويخرج الدم من جسده ثم يموت، ولا نفهم السبب * ومات أهل البلدة جميعًا ولم يبقَ غيري، فعينتني الحكومة المصرية حارسًا للبلدة أهتم بها إلى أن تأتيَ لتوزع أملاك أهلها * طلب اللحاد من ابن إسحاق أن ينام لأن الليل قد حلّ * ففرش اللحاد حشية لابن إسحاق ونام جواره على الأرض، وعند شروق الشمس استيقظ ابن إسحاق فلم يجد اللحاد بجواره، بل وجد قصاصة من ورقتين كُتب عليهما * بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء * اجتمع الساحر بالفقراء الأربعة ثم جعلهم يحفظون هذه الكلمات.

سمامها طولام فقدشبينا يوهانيط سمسمائيل يصيفيدش احرق كل من عصى أمرك بحق إصطفار وبيوم عمياخ وبحياة هليع بحق إصطفار وبيوم عمياخ وبحياة هليع يا من تـــسمعون في وادي القــرنيم بحـــق سيدكم وبحق مقبلكم فكوا قيد بن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات فكوا قيد بن ذاعات فيدعاهاط موسماعل بق حق إذا أحـــضرتم أحـــرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه شرطيائيل موهوقمي نوخيشما بمدار مخلبي * وبعد أن حفظ الأربعة الكلمات جلـــس الأربعـــة مستحلقين وفي وسطهم شمعة صغيرة، إذا ارتفع لهبها إلى سقف الدار كان خادم الجن قد حضر * وجلس الحي بن القصاب بعيدًا عنهم * ثم بدأ الأربعـــة ينطقون الكلمات بصوت واحد حتى انتهوا منها * وفجـــأة ارتفـــع صوت الحي بن القصاب وهو يقول * أريقًا أريقًا فليقًا فليقًا حليفًـــا حليفًا ائتوني مستكين مستكين مستكين احـــضروا أينمـــا تكونـــوا احضروا فإنكم محاطون به من كل جانب سمسائيل الهـــوام يحـــاقوف المخلبي سمسائيل الهوام يحاقوف المخلبي ارجعوا يا جنود المارد ارجعوا يا جنود المارد فكوم يا حليق فكوم يا حليق لخدام هاميم بحق سمسائيل أن تأتيني احضروا يا جنود المارد لتكونوا الجيش الأعظـــم الـــوحي الوحي العجل العجل الساعة الساعة احضروا بحق مخلبي * فـــارتفع لهيب الشمعة إلى سقف الدار وحضر المارد لينفذ طلبات الـــساحر، حتى انبلج عليهم الفجر ولم يعلم أحد ما حدث بعد ذلك، حتى مات الثلاثة فقراء وهرب الرابع إلى دمياط ولا يعرف أحد ماذا حدث له حتى ظهر.. (جزء غير واضح من المخطوطة).. فأطلب منك يا أخي قبل أن تُكمل رحلتك أن تذهب إلى مقابر البلدة التي ســـتجدها في

آخر صف الحوانيت شرقي البلدة؛ لتقرأ الفاتحة لأمواتها وتدعو لهم بالمغفرة وأن يرحمهم الله * فبعد أن انتهى شيخنا ابن إسحاق من قراءة الورقة جمع حاجياته ونزل من بيت اللحاد واتجه إلى شرقي البلدة * ورأى صف الحوانيت فمشى بجواره حتى وصل لآخره، فوجد مقابر كثيرة تملأ الصفوف، فوقف أمامها للدعاء لأصحابها * فلمح بعينيه حجرًا على أحد القبور مكتوب عليه المتوفى إلى رحمة الله محمد السالمي اللحاد أدخله الله فسيح جناته * فاندهش ابن إسحاق كيف كان يكلمه محمد السالمي وهو من الأموات * فجرى إلى أن وصل إلى ناقته التي ربطها في سور البلدة وركبها وسار بها، وعندما نظر خلفه لم يجد أثرًا للبلدة ولا لسورها الطويل * فحمد الله على سلامته وأكمل طريقه إلى أن وصل إلى القاهرة).

انتهى (يوسف) من قراءة الورقة وقد شعر برجفة غريبة تسري في جسده، لم يعرف أهي نسمات هواء الفجر أم هو الرعب مما قرأه في تلك الوريقات؟ كان أول ما فعله هو أن دخل إلى الحمام ليتوضأ بعد أن سمع أذان الفجر وهو يأتي له من المسجد القريب، توضأ ليستعد للصلاة وأيضًا لكي يهدأ مما قرأه، كان تأثيره عليه رهيبًا، وشغل كل تفكيره. شعر براحة نفسية كبيرة بعد صلاته، أزالت بعض الرعب الذي دخل في قلبه بعد قراءة تلك الوريقات.

بالرغم من الرعب الذي داخل نفسه إلا أنه انجذب لتلك الكلمات التي قرأها، حتى إنه شعر معها أنه يعاصر الأحداث، وأنه هو أحمد بن إسحاق، ولكن من أحمد بن إسحاق هذا؟

هو لم يسمع به من قبل، ولكن الاسم له رنين جميل يجعلك تحترمه في التو واللحظة، فالاسم يُذكرك بالعلماء الأجلاء الذين كنا نقرأ أسماءهم بشيء من العسر في المراجع التاريخية، فيكفي أن ترى الاسم ليعطيك رهبة من صاحبه، وتتخيله شخصًا طويلاً عريضًا مهابًا له كيان كبير، أخذ (يوسف) يفكر كثيرًا وهو يجلس على فراشه في الشخصيات التي قرأ عنها منذ قليل، إن الأحداث التي تمّ سردها غريبة جدًا ولم يسمع بمثلها من قبل، غريبة على ذلك العصر!! عصر لم يعرفوا فيه أسماء مثل (سوسو) و(ميمي) بل أسماء أخرى، فيكفي أن ترى اسمًا كاسم (الحي بن القصاب) أو (ابن إسحاق) لتقف مهابة لتلك الأسماء، فلا أعتقد أنهم كانوا سيقبلون أسماء هذه الأيام، فربما كان اسم (مصيلحي) بالنسبة لهم ركيكًا، أو يكونوا قد استخدموه للتدليل، ثم هذا الشخص الذي يدعى (محمد السالمي) يظهر في النهاية أنه شخص ميت!

لو كانت تلك الورقات هي محاولة لتأليف قصة رعب فقد نجح مؤلفها، وربما كان ليصير كاتب رعب شهيرًا في عالمنا لو كان يعيش الآن، أما لو كانت تلك الكلمات حقيقية فتلك مصيبة أشد، فهذا يعني أنه يمتلك نصًا حقيقيًا لمخطوطة، وأن ما جاء بها حقيقي 100%.

***

مشهد غريب للغاية الذي نراه الآن، حيث من المعروف أن لون الرمال دائمًا يميل إلى اللون الأصفر أو إلى البني الداكن، ولكن أن يكون لون الرمال أحمر قانيًا هذا هو الغريب، فقد كانت الرمال على

امتداد البصر وكأنها بلا نهاية، حتى دوى فجأة في المكان صوت مفزع، كأنك تسمع ألف شخص يُعذب أو كأنك تسمع صوت حيوان يُسلخ وهو حي.

وهنا بدأ الهواء يتخلخل بطريقة غريبة، حتى بدأت الرؤية تصعب على من يشاهد المنظر، وتصاعد دخان كثيف في الهواء حتى ارتفع من الدخان لسان طويل من اللهب الذي يميل إلى اللون الأبيض، لهب أبيض؟!!! .

وفجأة دوت فرقعة تصم الآذان في مكان الخلخلة، ليظهر جيشان عظيمان متباعدان عن بعضهما، ولكن كلاً منهما يعدو بسرعة ليقابل الآخر، كان الجيش الأول يتكون من رجال طوال شعر الرأس يصل طول شعر الواحد منهم إلى ما تحت خصريه، عيونهم مشقوقة بالطول يتخللها لون أخضر قاتم وملابسهم تلتصق بأجسادهم، وكان من ينظر لها يبادر إلى ذهنه أنها جلودهم وليست ملابسهم!!

أما الجيش الآخر فكانوا سود البشرة صلع الرؤوس، عيونهم كبيرة جدًا، حتى إنك عندما ترى الواحد منهم تعتقد أن عينيه تأخذ نصف وجهه!!

ولكن المشكلة ليست في اتساع العينين، المشكلة أن العينين من داخلها لونها أسود قاتم فلا ترى الحدقة أو القرنية، فكلها سوداء.. فكيف يرون؟

لا يرتدون أي ملابس بل هم عراة تمامًا، ولكن أجسادهم مليئة بالشعر الغزير، يُطلقون من أفواههم ذلك الصوت الذي شبهناه منذ

قليل بصوت حيوان يُسلخ جلده وهو على قيد الحياة، الآن الجيشان يقتربان من بعضهما بسرعة كبيرة، ترى ماذا سيحدث؟

ولكن ما دخل هذا في قصتنا الآن؟

ربما نعرف بعد قليل..

***

صوت أذان الظهر يتردد من المسجد القريب، ويتخلل أذن (يوسف) ليجعل النوم يطير من رأسه رويدًا رويدًا، ليستيقظ ولكنه يحاول العودة للنوم فلا يستطيع، يتقلب على الجانب الآخر ليحاول العودة مرة ثانية للنوم اللذيذ، ولكن كل محاولاته باءت بالفشل.

بدأ يفتح عينيه وهو مازال نائمًا على ظهره يحاول أن ينبه حواسه لاستقبال يوم جديد، يترل من على الفراش ليذهب إلى الحمام كما هي عادته اليومية، حيث يظل في الحمام قرابة نصف الساعة ليخرج شخصًا آخر وقد أصبح منتعشًا ومبتسمًا للحياة، لا يعرف أحد ماذا يحدث في الحمام، ولا يهتم أحد بأن يعرف، الذي يعرفه أهله أنه لن يُنهي حمامه قبل أن يتوضأ، يخرج ليصلي صلاة الظهر في غرفة نومه، ويبدأ رحلة البحث في ثلاجة المترل عن أي شيء يؤكل، حتى تقع يداه على أي شيء تتخيله ليضعه في فمه، فهو لا يدقق في نوعية الطعام، إنها عادة منذ صغره، أن يضع أي شيء في فمه بعد استيقاظه مباشرة.

ذهب بخطوات بطيئة ناحية الكمبيوتر الذي يضعه في صالون منزله ليفتحه، ثم يبدأ في ممارسة حياته الرتيبة المملة، وكأنه قد فقد الذاكرة ثم استعادها مرة أخرى؛ اتسعت عيناه وقد تذكر فجأة آخر شيء فعله البارحة قبل أن يخلد إلى النوم.

لقد كان يقرأ في تلك الوريقات، لقد تذكر كل شيء الآن، وهنا قام إلى غرفته ليحضر الورق وعاد إلى الكمبيوتر وفعل أول شيء خطر إلى ذهنه.

لقد قال في باله لم لا أبحث في شبكة الإنترنت عن أي معلومات تخص تلك الحكاية التي قرأها أمس؟!

فتح أحد مواقع البحث الشهيرة، وجال بخاطره ماذا يكتب في مربع البحث؟

كتب في المربع (ابن إسحاق) وبدأ البحث ليرى أن جميع المواقع التي ظهرت في البحث كانت تخص (ابن إسحاق) الذي كتب كتاب (سيرة ابن إسحاق) الذي يتحدث عن حياة النبي صلى الله علية وسلم، فما كان منه إلا أن أعاد البحث، ولكن كتب في خانة البحث هذه المرة (أحمد بن إسحاق البغدادي)، وظهرت النتائج له.

أول ثلاثة مواقع في البحث كانت تتحدث عن أسماء رجال كانت يدخل في أسمائهم اسم (إسحاق) أو (البغدادي)، أما الموقع الرابع فعند دخوله وجده منتدى مغمورًا، كُتب فيه موضوع عنوانه:

(أساطير العرب ومقارنتها مع الواقع)

أما الموضوع نفسه فقد تحدث عن أساطير من حياة العرب في البادية، وعلاقتهم بالجن، ولكن في أحد أجزائه كُتب الآتي:

(وننتقل الآن إلى أسطورة لم تنل الشهرة ولا الصيت الذي نالته باقي أساطير العرب، فنحن نتكلم عن شخصية تُدعى أحمد ابن إسحاق البغدادي، والذي قيل عنه إنه رحالة يجوب البلاد شرقها وغربها لا يكل ولا يمل، ولكن كُتب في مراجع متفرقة أن له حكايات كثيرة تتعلق بالسحر والسحرة، وأشهرها حكايته مع تلك المدينة التي كتب عنها في كتابه (كنز الرحلة) وسماها (مدينة الموتى)، وحكى عنها أنها مدينة خالية، لا بشر فيها ولا حياة، وأنه وجدها في طريقه من قرية مصرية قديمة إلى القاهرة، فظهرت فجأة واختفت بطريقة غريبة، حتى لم يكن من الوالي إلا أن أحرق كتابه (كنز الرحلة) وكتابه (غواص اللؤلؤ)، ويقال إنه اختفى بعدها، ولم يصلنا من أخباره شيء إلا حكاية تلك المدينة، والحقيقة أن هناك أساطير كثيرة نُسجت حول هذا الرجل منها الحقيقي ومنها المريب والذي يصعب التفرقة بينهما).

وفي منتدى آخر كُتب موضوع بعنوان:

(الرحالة أحمد بن إسحاق البغدادي)

(وُلد في ممباسا وعاش الكثير من عمره في بغداد، ولذلك لُقب بالبغدادي، درس الفلك والطب ولكن لم يكن له نبوغ خاص في الأخير، حيث انصبت جل شهرته على الفلك، وقد ألف هذا الرحالة كتابين، أحدهما هو (غواص اللؤلؤ) وكان يختص بالفلك والكواكب، والأخر (كنز الرحلة) ويختص برحلاته العجيبة في البلاد التي زارها،

ولم يصلنا من كتابيه سوى شذرات بسيطة، وبعض المخطوطات التي فُقد أكثرها وذلك بسبب حرق كتبه واتهامه بالاشتغال بالسحر، ثم اختفاؤه في نهاية حياته، والذي أثار جدلاً حول شخصيته).

كان عقل (يوسف) في تلك اللحظة يعمل بسرعة كبيرة، غير مصدق للمعلومات التي أمامه، حتى خرج من الصفحة التي كان يتصفحها إلى صفحة أخرى كُتب بها عنوان عريض:

مخطوطة الشيخ أحمد بن إسحاق البغدادي .

(دار الجدل حول حكاية تُروى وتُنسب إلى الرحالة العربي الشيخ (أحمد بن إسحاق)، في إحدى رحلاته داخل مصر، فقد دخل مدينة كل من بها أموات، ورأى فيها العجب، حتى إنه قال بأنه رأى شخصًا ميتًا يتحدث معه وجهًا لوجه.

فقد كان ابن إسحاق مولعًا بالغرائب والعجائب، حيث كانت له العديد من الرحلات العجيبة التي شاهد فيها الكثير من الأشياء التي تصدم العقل، حتى إن الناس اعتقدوا بكفره وحرقوا كل نسخ كتبه واتهموه بالاشتغال بالسحر، وقد قيل بأن هناك نصًا من إحدى رحلاته نقله عنه أحد تلاميذه والذي يُدعى (عبد الرحمن بن إبراهيم بن إسماعيل)، حيث تحدث في بضع وريقات عن رحلته إلى مصر وأنه دخل إلى بلدة هاجمها وباء فقتل كل من بها ولم يبق شخص حي في البلدة. هذا الوباء جاء عن طريق السحر، وأن ابن إسحاق قد علم الطريقة التي تم جلب الوباء بها، حيث أعطاه إياها ميت من البلدة قابله، والمشكلة هنا هي ضياع هذه المخطوطة نهائيًا، ولم تصلنا منها

إلا روايات من الأشخاص الذين رأوها منذ القدم، ويقول فريق من العلماء بأن هذه المخطوطة ليست موجودة وأنها حكاية أسطورية تداولها الأشخاص عبر التاريخ حتى اعتقد الكثيرون صحتها، أما الفريق الثاني من العلماء فيقول بوجودها ولكن لم يحددوا مكانها أو معالمها، ولكنهم يستندون في أدلتهم إلى إيراد كلام يتحدث عن المخطوطة في أكثر من كتاب وأكثر من مجلد، وبرغم الجدال القائم على هذا الرجل إلا أننا نقول بأنه كان أحد الرحالة الذين كتبوا المقارنات بين طرق المعيشة في البلدان ومحاولة مقارنتها بواقعنا العربي).

وهنا انتصب الشعر في مؤخرة رأس (يوسف)، لو كان المكتوب عن ذلك الورق الذي يمتلكه حقيقي فذلك يعني أنه الوحيد الذي يمتلك نص تلك المخطوطة.

مخطوطة بن إسحاق..

أخذ (يوسف) يتحسس الأوراق وهو ينظر لها بتمعن والأفكار تتصارع في رأسه بلا انتظام.

– لو كانت تلك المعلومات صحيحة فأنا أمتلك نص المخطوطة الأصلية.

وهنا وضع (يوسف) يده يتحسس الورق من جديد ويمرر يده عليه، لقد شعر منذ الوهلة الأولى بأن ملمس ذلك الورق غير مريح، كان طول الورق يتجاوز طول الورق المستخدم في الطباعة أو الكتابة، هذا غير أن الحروف بعضها ممسوح وبعضها ممتزج ببعضه، مما

ينبئ بأن الحبر المكتوبة به الكلمات قد تأثر وطار بعضه وامتزج بعضه ليؤدي لاختفاء وعدم وضوح بعض الكلمات والعبارات من داخل الورق، ثم ماذا عن ذلك الخيط الذي يربط تلك الوريقات من الجانب؟! تلك الطريقة التي ليست من نسق الطباعة الحديثة.

ضحك (يوسف) ساخرًا من نفسه، كيف لم يلحظ ذلك؟ الكتابة على تلك الوريقات كتابة يدوية، وذلك للاختلاف الطبيعي بين الكلمات وكبر بعضها وصغر بعضها، رائحة الورق وملمسه الخشن السميك.

وكأنه لا يريد تصديق النتيجة التي توصل لها عقله ويحاول أن يتملص منها بأي حجة يجدها كي يبعدها عنه، ولكنه لا يجد مفرًا من أن يعيد تلك النتيجة لعقله مرة أخرى، هو للأسف لا يمتلك نص المخطوطة الأصلية المفقودة، ولكنه يمتلك المخطوطة الأصلية ذاتها.

***

2

الأصدقاء القدامى

نحن الآن في جامعة (القاهرة) والتي تضم كلية الحقوق التي ينتسب لها (يوسف) في السنة الثالثة، ولكننا بالتحديد داخل أروقة كلية الآداب بالجامعة، حيث ذهب (يوسف) لرؤية أصدقائه في المكان الذي يجتمعون فيه منذ سنوات.

كانت الكافيتريا قد لاحت لعينيه، فظل ينظر يمنة ويسرة، حتى وجد ضالته في سبعة طلاب يتحدثون بصوت عالٍ، وأحدهم يلوح بيديه يمنة ويسرة، يبدو أنه يشرح شيئًا يعتقد أنه مهم، اقترب منهم (يوسف) وهو يبتسم ابتسامة خفيفة متذكرًا أيامهم معًا.

نعم.. ففي وسط هؤلاء الطلاب هناك خمسة أشخاص يعرفهم منذ المرحلة الإعدادية، ثم انتقلوا للثانوية معًا، وهكذا صارت بينهم رابطة صداقة لا تُمحى بالرغم من المشاكل والخلافات التي كانت تحدث بينهم، إلا أنهم دائمًا ما ينبذون خلافاتهم وراء ظهورهم.

أخذ يقترب منهم وهم لا يلاحظونه، حتى صار على بعد خطوة واحدة وقف بعدها يتأملهم باسمًا، كان أحد أصدقائه قد لمحه فنبه باقي الأفراد ليذهبوا هم ناحيته.

– السيد (يوسف) عندنا يا هلا يا هلا.

– تحية كبيرة لسيادة المستشار (يوسف) أكبر مستشاري حي الأزاريطة!

وبدأ التهليل والترحيب من هذا النوع، ثم بدأت الأحضان – للشباب بالطبع – والمصافحات التي وصلت إلى الضرب على كتفه الذي كاد أن ينخلع، بالطبع نسيت أعرفكم بالأصدقاء الخمسة الذين يفضلهم (يوسف):

– أولهم هو (محمود إسماعيل)، طالب بكلية الآداب قسم التاريخ، أبيض البشرة يظهر له شارب ولحية، فلا تعرف إن كان تنسي حلاقتهما أم ينوي تربيتهما، وبرغم ذلك هما يعطيانه مظهر الشاب الوقور راهب العلم الذي لا يهتم بالمظاهر، جسده يميل للنحول، فتارة تعتقد أنه يعاني من نحول شديد وتارة تعتقد أن جسده ليس نحيلاً بل هو متناسق.

– ثانيهم يدعى (مصطفى أسامة)، طالب بقسم التاريخ، أما عن مواصفاته:

شعر عادي لا يمكنك تحديد إن كان ناعمًا أو خشنًا، لون بشرة قمحي، طول متوسط، في بعض الأحيان تراه يرتدي نظارة طبية وأحيانًا أخرى لا يرتديها، بشكل عام وجهه مقبول لأي شخص.

- ثالثهم (أحمد محمد عبد الحميد)، طالب بالسنة الثالثة في كلية تجارة، أبيض البشرة، ممن يطلق عليهم لقب وسيم عندما تراه الفتيات، ويطلق عليه اسم (الفرفور) - وآسف لهذا التعبير - عندما يراه الشباب وهو يحادث الفتيات، ولكنه برغم ذلك لم يستغل ذلك باي حال، فهو محافظ نوعًا ما في تعامله مع الفتيات، طويل القامة حتى تشعر أنك قصير بجانبه.

- رابعهم يطلقون عليه (حامد رزق)، ولكن يبدو أن هذا الاسم للتدليل، فهم يطلقون عليه لقبًا دلالة على شخصيته، (المهيس) - إن جاز لي إطلاق الاسم - وتلك الكلمة هي دلالة لفظية بين الشباب على الشخص كثير الضحك والكلام الغريب، طالب بقسم اللغة العربية، أصدقاؤه دائمًا يندهشون كيف يكون هذا الشخص في قسم اللغة العربية وهو يمتلك قاموسًا من الكلمات التي ليس لها معنى يرددها كأنها درر في اللغة العربية، هذا غير قاموس الشتائم الذي اشتهر به من قبل أن يدخل قسم اللغة العربية.

أما عن مواصفاته الجسدية فهي سهلة جدًا..

طوله يقترب من القصر، شعره ناعم، لون بشرته قمحي.

خامس صديق لـ (يوسف) هو (إسلام جمال)، طالب بقسم.. الحقيقة لا يعلم الكثيرون أي الأقسام في كلية آداب هو، لأنك تراه

داخل محاضرات قسم الجغرافيا، أو الفلسفة أو التاريخ أو علم النفس، أو أي قسم تتخيله، ولكن يبدو والله أعلم أن (إسلام) منتسب لقسم اللغات الشرقية.. لأنه شوهد في أيام الامتحانات يؤدي اختبارته مع نفس طلاب هذا القسم.

أما عن الشكل ههو طويل القامة، يذكرك جسده بمظهر لاعب كمال الأجسام بالرغم من عدم ممارسته لتلك الرياضة، أبيض البشرة، عيناه عسلية وصوته أجش.

أما الشخصان الباقيان الواقفان مع أصدقائنا الخمسة فكانا (رانيا) و(رباب)، والحقيقة لا أعلم إلى أي قسم تنتسبان.

تم التعارف بين (يوسف) والفتاتين بسرعة وظل الجميع يضحكون ويذكرون النكات السخيفة التي يضحكون عليها مجاملة لقائل النكتة، حتى استأذنت الفتاتان في الصعود لحضور إحدى المحاضرات.

وهنا نظر (يوسف) لأصدقائه وقال:

- أريدكم أن تشاركوني في موضوع يحيرني منذ ثلاثة أيام ولم أعرف له حلاً.

فرد (إسلام) قائلاً بسخرية ضاحكة:

- حب جديد؟

وقال (حامد) سريعًا بغضب وهو يزجر (إسلام):

- ليس هذا وقت مزاح!

ثم نظر إلى (يوسف) وقال:

- هل تخلت عنك حبيبتك بعد أن وعدتك بالزواج؟

فقال (محمود):

- وربما كانت الخطيئة، وتركتك وأنت حامل!

فرد (يوسف) غاضبًا:

- احترم نفسك أنت وهو!

فرد عليهم (مصطفى) وهو يضحك:

- اهدأ يا (يوسف)، "إن ما كانش علشان خاطرك يبقى علشان خاطر اللي في بطنك".

أخذوه حتى جلسوا جميعًا على الحشائش التي تفصل بين الممرات داخل كلية آداب.

- اهدأ يا أخي، ألا تحب المزاح؟

- جئتكم اليوم لغرض هام، فكيف تطلب مني الهدوء بعد أن بدأتم بالاستهزاء بي؟

ضحك (إسلام) قائلاً:

- إذن فلتتكلم، ولتسامحنا على مزاحنا إن ضايقك، فأنا أعرف أنك عصبي هذه الأيام، ولكن لا تنزعج؛ فالحمل في أوله صعب دائمًا.

ضحك الجميع بما فيهم (يوسف)، ثم بدأ يتكلم في جدية:

- لقد عثرت على مخطوطة نادرة جدًا.

- ؟!!!!!!!!!!!!!

- ما معنى مخطوطة؟

كانت تلك العبارة السابقة من (محمود).

- وكل تلك السنوات وأنا أعتقد أنك طالب في قسم التاريخ! لا تعرف معنى كلمة مخطوطة؟! يبدو أن قسم التاريخ غير نشاطه إلى التدبير المنزلي!!

- وضّح أكثر يا (يوسف).

وهنا بدأ (يوسف) يشرح الموضوع، منذ أن اشترى المخطوطة من سور الأزبكية إلى أن بحث على شبكة الإنترنت عن معلومات عن (ابن إسحاق)، بالطبع في وسط المحادثة ذهبوا جميعًا ليُحضروا الإفطار.

وبعد أن انتهى من سرد قصته، نظر لهم ليرى تأثير قصته عليهم، وكان التأثير واضحًا على وجوههم.

(محمود) و(حامد) ظهر عليهما عدم التصديق حتى إنك لترى كلمة (أنت كاذب) ستقفز من عينيهما، أما الباقون فقد ظهرت على وجوههم علامات التفكير، وكأنهم في منزلة بين الإيمان والشك بقصته، فما كان من (يوسف) إلا أن قال:

- أريد معرفة رأيكم أكثر عن هذا الموضوع؟ فربما كنت أمتلك مخطوطة أصلية وربما كنت أمتلك وهمًا، لكن الموضوع يستحق التعب، فما رأيكم؟

هنا تكلم (حامد) - المهيس - قائلاً:

- الموضوع غريب يا (يوسف)!! لدرجة أنني اعتقدت في أول حديثك أنك تدبر مقلبًا لنا وستفاجئنا في النهاية بعبارة عليك واحد أو شربتم المقلب، ولكنك تتكلم في الموضوع بجدية مما ينفي تهمة المقلب!

- صدقني الموضوع حقيقي مائة بالمائة، لدرجة أنني جلست اليومين السابقين أفكر في الموضوع، وأجمع المعلومات عنه عن طريق شبكة الإنترنت حتى بدأ راسي يُجن.

- لكن الإنترنت به الكثير من المعلومات الخادعة، لأن الذين يكتبون المعلومات في الغالب قد نقلوها من مواقع أخرى أو منتديات أخرى، وقليلاً ما تجد باحثًا حقيقيًا يكتب معلومات على الإنترنت.

فرد (يوسف) قائلاً:

- عندما يذكر الأشخاص مصادرهم للمعلومات على المنتديات فذلك يعني أن المعلومات صحيحة أو على أقصى تقدير تكون بعض المعلومات صحيحة.

ساد الصمت بين أصدقاء (يوسف) احترامًا له، برغم عدم تصديق بعضهم للموضوع، ولكن هذا الأخير أكمل كلامه قائلاً:

- لقد أتيت إليكم لتساعدوني، وخصوصًا (محمود) و(مصطفى)، لأنكما تدرسان في قسم التاريخ.

ظهرت ابتسامة ساخرة على وجه (مصطفى)، بينما قال (محمود):

– أتخيل مظهري وأنا أتقدم لأحد أساتذة قسمنا الـذين شـاب شعرهم من الخبرة، لأقول له إن صديقي وجد مخطوطة علـى أحـد الأرصفة تباع بعشرة جنيهات.

– سور الأزبكية من فضلك، فلا يوجد رصيف في الموضوع!

– سور الأزبكية!! لا عليك، سور الأزبكية، ولكـن صـدقني الدكتور سيعتقد أنني أقلل من شأنه أو أنني أستخف بعقله، وسيكون عقاب الدكتور جاهزًا، الحكم عليّ بأن أظل طالبًا لبضع سنين أخرى حتى يتوفى الله الدكتور.. لا يمكن ذلك يا (يوسف).

وقبل أن يرد (يوسف) قال (مصطفى):

– انتظر يا (محمود) فهناك حل، سنقوم بسؤال أحد الأساتذة في قسمنا بطريقة غير مباشرة وكأننا وجدنا معلومة عن الموضوع في أحد منتديات الإنترنت، ولكن المشكلة ليست في تلك النقطة.

– أين المشكلة إذن؟

– المشكلة تكمن في أنك تسير وحيدًا تبحث عن حقيقـة هـذه المخطوطة، وبالطبع سيكون سيرك بطيئًا، أو عقيمًا إن أردت الدقة، ولكن إن سلمت تلك المخطوطة لجهة عليا أو أحد الباحثين، سيمكنه أن يبحثها في وقت أقل من الوقت الذي ستستغرقه بالتأكيـد، بـل سيمكنه أن يحدد هل تلك المخطوطة حقيقية أم مزيفـة أم مطبوعـة طباعة عادية؟

– وهل تعتقد أنني لم أفكر في هذا الموضوع من قبل؟

- إذن لماذا لا تنفذه، طالما هو حل عبقري بهذا الشكل!!

- لقد قلت في نفسي لو أنني سلمت المخطوطة لأحد الباحثين، وحللها ودرسها ووجدها أصلية فإنه سوف يتنكر مني، وسيعلن للجميع أنه هو الذي وجدها وينسب لنفسه كل الفضل والشهرة، أما لو قدمتها وكانت مزيفة فسيكون مصيري الاستهزاء والسخرية، وأنا لا أريد هذه ولا تلك، لن أقدمها إلا قبل أن أتأكد أولاً من صحتها، فيمكنني في تلك الحالة أن أعلنها للجميع.

فقال (حامد) المهيس:

- ربما كنت صادقًا في جزء من كلامك، ولكن برغم كل شيء فإنك ستبذل الكثير حتى تجد حقيقة تلك المخطوطة.

وفجأة برقت عين (أحمد) - طالب التجارة - وانتفض فجأة وهو يقول:

- انتظروا، لقد وجدت خيطًا بخصوص حقيقة المخطوطة.

- اشرح ولا تُفزعنا هكذا كل مرة.

- (يوسف) يقول إنه اشترى المخطوطة من سور الأزبكية، بالتحديد من أحد الأكشاك.

- استنتاج لم أصل له فعلاً! صحيح، اشتريتها من أحد الأكشاك.

- دعني أكمل ولا تسخر مني، إذن لماذا لا يعود (يوسف) لصاحب الكشك ليستفسر منه عن كيف أتى ذلك الورق إليه، فربما

كان الرجل قد توارثها من آبائه، وربما الرجل اشتراها من مكان معين، في كل الحالات ستُمسك بطرف خيط يقودك للحقيقة.

هنا قفز (يوسف) على (أحمد) وهو يحتضنه ويحاول أن يقبله بمرح:

- عبقري.. عبقري، كلية الألسن قد استفادت كثيرًا بكونك طالبًا هناك.

- يع.. أولاً ابتعد عني كي لا تصيبني بالجراثيم، ثانيًا أنا في كلية تجارة وليس الألسن!

كان المرح قد انتشر وبدأ الجميع بالهرج والمرج والضرب، فكأنهم قد استراحوا بوجود لحظات مرح بين الكلمات الثقيلة التي كانوا يقولونها منذ قليل، وبعد أن انتهوا من لحظات المرح التي سادتهم، قال (يوسف):

- أعتقد أن (مصطفى) و(محمود) قد عرفا ما عليهما، سيسألان أحد الأساتذة الكبار في قسمهما عن (ابن إسحاق)، ثم يسألان عن المخطوطة وما تحتويه وما احتمالات العثور عليها. أما أنا فسأذهب لسور الأزبكية لسؤال البائع عن تلك المخطوطة، ومن أعطاها له، وليتصل بي من يجد منكم أي شيء.

وافقه الجميع بإيماءة منهم، ولكن (إسلام) قال:

- (يوسف)، هل أنت واثق من وصفك لشكل تلك المخطوطة؟ أليست ورقًا عاديًا؟

- سترونها كلكم حتمًا حينما تأتون لمنزلي.

- بإذن الله.

- والآن سأذهب لسور الأزبكية، من منكم يريد أن يأتي معي؟

تململ الجميع، فهم برغم كل تلك المناقشات لم يؤمنوا بعد بصحة كلام (يوسف)، فظهرت الأعذار الجاهزة كموعد المحاضرة التي ستبدأ الآن وغيرها من الأعذار التي يمكن أن تقال، فما كان من (يوسف) إلا أن ودعهم على وعد بالاتصال حين يصل لأي شيء.

***

* أريقًا أريقًا فليقًا فليقًا حليفًا حليفًا اتوني مستكين مستكين مستكين احضروا أينما تكونوا احضروا فإنكم محاطون به من كل جانب سمسائيل الهوام يحاقوف المخلبي سمسائيل الهوام يحاقوف المخلبي ارجعوا يا جنود المارد ارجعوا يا جنود المارد فكوم يا حليق فكوم يا حليق نخدام بهاميم بحق سمسائيل أن تأتيني احضروا يا جنود المارد لتكونوا الجيش الأعظم الوحي الوحي العجل العجل الساعة الساعة احضروا بحق مخلبي *

***

3

السجين

يبدوا أننا سنرى الكثير من المشاهد الغريبة في هذه القصة، ولكن دعني أصف لكم هذا المشهد.

نحن الآن في منطقة جبلية وعرة، ولو أردنا أن نكتشف المنطقة أكثر، فسنقول بأن هناك شلالاً من المياه ولا تسألني كيف أتى هذا الشلال، فأنا أصف لك فقط. المنطقة يُغلفها الظلام إلا من ضوء القمر الذي يبعث على الرعب أكثر منه يبعث على الرومانسية، ولكن حتى الآن لا يوجد شيء غريب في المشهد يستحق وصفه.

ولكن انتظر.. هل ترى ما أراه؟ بجانب الشلال في داخل الصخور هناك فتحة تُشبه فتحة كهف من التي نراها في السينما، وأعلى الفتحة منقوش على الصخور كلمات بلغة غريبة لا أعرفها، ولكن يبدو أن بها مربعات وخطوط منفصلة عن بعضها؟!

رباه! ما هذا الذي أراه!! لو كان شخص حي بهذا المكان ورأى ذلك لمات رعبًا.

هناك طنين يزداد ببطء يكاد يفجر رأسك من الألم، الطنين يزداد أكثر وأكثر وفجأة.. حدثت فرقعة صغيرة أمام فتحة الكهف التي رأيناها منذ لحظة، وظهر لحظتها ثلاثة رجال أمامها، رجال!! لا ليسوا رجالاً، فلا يوجد رجال طوال القامة بهذه الطريقة، ولون جلودهم أحمر، هذا ما تراه من ظهورهم فقط، فأنا لا أرى وجوههم الآن، ولكن يبدو أن أحدهم هو القائد لأن الاثنين الآخرين يتبعانه في خشوع وهو يدخل إلى الكهف، ولكن هناك شيء غريب، بمجرد دخول الثلاثة من الفتحة تألقت الكلمات المنقوشة أعلى الكهف.

لا أعرف هل أنا دقيق الملاحظة أم أن ضوء القمر لا يُظهر التفاصيل جيدًا؟ أعتقد أنني رأيت لهؤلاء الثلاثة ذيولاً تخرج من تحت ملابسهم.

***

الآن نحن داخل الكهف، دعني أصف لك ما أرى بالتفصيل.

الكهف تُضيئه من الداخل أضواء حمراء وبيضاء لا تعرف من أين مصدرها، لكنها إضاءة قوية جدًا، وفي آخر الكهف هناك.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

في آخر الكهف هناك شيء ما يجلس على الأرض مكبلاً بالأغلال من كلتا يديه، والأغلال نفسها منقوش عليها نقش غريب، ربما كان مشابهًا للنقش الذي في خارج الكهف.

له خلقة مريعة تُجبرك على عدم النظر إليه، حتى لا يدب الرعب في قلبك، فوصف شكله مهمة عسيرة. ولكنك ترى ضخامة جسده

وطوله الذي يفوق بالتأكيد طول البشر.. جلده بالكامل يميل إلى اللون الأحمر.

وجهه طويل، لا ليس طويلاً بالطريقة التي نعرفها، بل هو طويل بالكامل، أي إن وجهه طويل جدًا يصل إلى أربعين سنتيمترًا، والوجه نفسه مضغوط من الجانبين لدرجة غريبة، له عينان مشقوقتان بالطول لا تتبين لونهما، ربما لأنك لن تطيق النظر فيهما.

أما عن فمه فهو أغرب شيء في وجهه، ففتحة فمه تصل إلى أذنيه من الجانبين، فلو ابتسم يصل جانبا فمه إلى أذنيه اللتين تشبهان أذني الحصان ولكنهما أصغر قليلاً، ما هذا الذي على رأسه؟ هناك شعر على رأسه ولكنه ليس طويلاً، المشكلة ليست في الشعر، بل في أنه يمتلك في رأسه قرنين صغيرين، طول الواحد يقارب سنتيمترات ثلاثة.

وهذا الشيء مربوط بالأغلال إلى جدار الكهف من كلتا يديه في وضع النسر المحلق، ولكن ليديه حرية للحركة بعض الشيء، وهذا هو ما يجعله يهز الأغلال ويحاول الخروج وقد ظهر على وجهه الغضب من تقييده بهذا الشكل.

وأمامه ما يشبه القصعة أو طبق الطعام، ولكنه مقلوب والطعام الذي لا نعرف ما كنهه مبعثر في جوانب الكهف، كان في حالة هياج رهيبة، يزأر ويعوي وكأنه حيوان حبيس، ويحرك يديه في جميع الاتجاهات محاولاً فك القيود، ولكن بلا فائدة.

وهنا دوت الفرقعة التي سمعناها عندما كنا نتأمل المشهد من خارج الكهف، قبل أن ندخله لنصف ذلك المشهد.

وبعد انتهاء صوت الفرقعة دخل الكهف من فتحته الرجال الثلاثة الذين لم نكن نرى ملامحهم من الخارج.

ولكن الإضاءة جيدة هنا، فيمكنني أن أحدد ملامحهم جيدًا، رباه!! إن هذا الشيء المكبل بالقيود لهو ملك جمال بالنسبة للقادمين، ولكن أكثرهم رعبًا هو الذي يخطو ويقودهم بينما الاثنان الآخران يتبعانه بهدوء، إن هذا الرجل المطاع له خلقة مرعبة بكل المقاييس، فهو أسوأ من المكبل بالسلاسل في الشكل، مع اختلاف أن وجهه كان ذا لون أسود لامع وليس أحمر كالباقين، ويمتلك قرنين أيضًا أعلى رأسه، وذيلاً يقف منتصبًا وكأن صاحبه متحفز لشيء ما.

كان المشهد رهيبًا، فبمجرد دخول الثلاثة هدأ المكبل بالقيود، وظل ساكنًا ينظر بعينيه للقادم.

أما الرجل المطاع فقد وقف في هدوء يرمق المكبل بالسلاسل بعينين ناريتين، ظل الاثنان يرمقان بعضهما لفترة طالت، وكانت بداية الكلام للرجل الذي دخل الكهف منذ قليل:

– مرحبًا أيها اللارد ما رأيك في لقبك الجديد يا (ابن ذاعات)؟ اللارد.. سيكون هذا لقبك منذ الآن بعد أن خالفت الأعراف والقوانين.

- أنا لست ماردًا، لماذا تقيدونني بلا ذنب وتطلقون عليّ لقب مارد؟

- بعد أن تمردت على قوانين قبائل الجان، وبحثت عن مجد شخصي لك بين البشر، وتحكمت في الجيوش التي تحت يدك لتجعلها في خدمتك لأغراضك الشخصية، لقد كتبت نهايتك بنفسك يا صاحبي.

ظهر الغضب على المقيد بالسلاسل وهو يقول:

- أنا (المخلبي بن ذاعات) أبرع قائد من قواد ممالك الجان، انتصرت لكم في الكثير من المعارك ضد الممالك الأخرى، وصارت قبائل الجن تخشانا بفضلي، وبعد هذا تحكمون عليّ بالسجن؟

ارتفع صوت الرجل الواقف بغضب وهو يقول:

- اسمعني.. لقد كنت تتحكم في جيوش جرارة من أفراد الجن لخدمة مصالح عشائرنا، ولكنك استخدمتهم في أذية البشر والتحكم بمصائرهم، لقد خرقت أحد أعرافنا، كجن مسلم لا نتصل بالبشر ولا نضرهم، وأنت تعرف عقاب من يخالف ذلك ويحاول الإضرار بالبشر.. الموت!

قالها وجلد وجهه يتشقق ويذبل وعيناه تبرزان للخارج.

- لقد خدمت قبائلنا في حروب كثيرة، وانتصرت فيها جميعها بلا استثناء، فهل هذا يكون مصيري؟

بدأ الرجل يتحرك ناحية (ابن ذاعات) وهو يقول:

تحير المجلس في أمرك، بعد أن كنت خادمنا المطيع الذي نبجلـــه، أصبحت سفاحًا وخطرًا مقيمًا على البشر، وكان يجب قتلك ككـــل المتمردين، ولكنني اقترحت عليهم وفاءً لخدماتك لنا، ولأنك كنـــت من أعظم قوادنا الحربيين، أن تُقيـــد في الـــسلاسل إلى أن تمـــوت، وحكمنا على أفراد الجان التي ساعدتك في إيذاء البشر من داخـــل جيشك بالنفي في بقاع الأرض، والتشتت والتفرقة، فلن يقدر أحدهم على معرفة مكانك ليحررك.

وهنا كان الرجل قد وصل إلى (ابن ذاعات)، فانحنى قائلاً:

لا تفكر في الهروب يا (مخلبي)، فسأترك معك حارسين من أقوى أفراد عشائرنا لحراستك وليقدما لك الطعام والشراب، هذا غير أن جيوشك الخائنة التي ساعدتك في المذابح البشرية التي ارتكبتـــها لا تعرف مكانك، ولن تعرفه لأنهم مشتتون في الجبال والمحيطـــات بـــلا هدف.

ثار (ابن ذاعات) وهو يحاول التملص من أغلاله بلا فائدة، ويطلق عواءً من بين شفتيه يصم الأذن، ولكن كل محاولاته فشلت.

ولكن لحظة!

ما دخل ذلك المشهد بقصتنا الآن؟

فلنعد لقصتنا مرة أخرى.

***

استقل (يوسف) المترو ليتجه أثناء عودته من الجامعة إلى سور الأزبكية، حيث قرر أن يزور صاحب الكشك العجوز ليسأله

4

كشك عم (صبحي)

عن مصدر المخطوطة، فنزل إلى المحطة المنشودة ولكنه فشل في اختيار السلم الصحيح الذي سيقوده إلى سور الأزبكية، وتاه مرتين حتى وجد السلم أخيرًا، فصعد حتى رأى المشهد الذي أصبح يحترمه كثيرًا، مشهد الأكشاك المتراصة جنبًا إلى جنب والمليئة بأصناف الكتب من شتى المجالات، ذهب في اتجاه الأكشاك وهو يبحث بعينيه عن الكشك الذي اشترى منه المخطوطة.

هل هو هذا؟ لا ليس هو، فالثاني كان أصغر من ذلك، ولا هذا ولا هذا.. وفجأة توقف (يوسف) عند مجموعة أكشاك متراصة، وقد بدأ يتذكر أشكالها ويتذكر أن الكشك المقصود في تلك النقطة بالذات، أخذ يتمشى حتى رأى المقعد الحديدي الطويل الذي كان أمام الكشك الصغير، والذي كان يريد صديقه أن يستريح عليه في المرة السابقة.

***

- لقد تعبت من المشي، هيا بنا نستريح على ذلك المقعد الحديدي.

كانت تلك العبارة من صديق (يوسف)..

فأجابه (يوسف):

- كشك أو اثنان ونعود للمترو مرة أخرى.

وهنا رأى (يوسف) رجلاً عجوزًا يجلس داخل كشك - أمام المقعد الحديدي - على الأرض، فجذبه المنظر ودخل إلى الكشك..

***

تذكر (يوسف) ذلك المقعد فنظر أمامه ولكنه لم يجد الكشك، بل وجد مكانًا خاليًا وبه شجرة تملؤها الأغصان الخضراء!!

كاد أن يُجن، فجرى ناحية الكشك المجاور لتلك البقعة الخالية ودخله ليجد فتى في سن المراهقة يمسك مجلة ويتصفحها..

- تحت أمرك؟

- إذا سمحت أين الكشك المجاور لكم؟

- ماذا تقصد؟

- في تلك البقعة الخالية التي بها شجرة؛ كان هناك كشك صغير يجلس به رجل عجوز..

نظر الفتى لعين (يوسف) حتى يتأكد أنه لا يمزح، ثم ضحك بسخرية وقال:

- لا يوجد كشك مكان الشجرة، لأنه ببساطة تلك الشجرة موجودة منذ خمسة عشر عامًا، فلا يمكن أن نبني كشكًا عليها إلا بعد أن نخلعها من جذورها.

- مستحيل، هناك كشك صغير يجلس به عجوز ويبيع كتبًا قديمة.

هنا دخل الكشك رجل يلبس جلبابًا، ويبدو أنه في أواخر الثلاثينيات، فنظر إلى (يوسف) والفتى ثم ألقى السلام.

فقال له الفتى:

- هل رأيت يا والدي؟ الأستاذ يسأل عن كشك يجلس فيه رجل عجوز، والكشك مكان الشجرة التي بجانبنا!

نظر الرجل إلى (يوسف) نظرة شك، يتأمله من أسفل إلى أعلى، ثم قال:

- احك لي يا أستاذ ماذا تريد؟

- لقد اشتريت منذ ثلاثة أيام فقط.. أقصد كتابًا من الكشك الذي بجانبك، والذي أرى مكانه الآن شجرة مزروعة، هل أنا جننت لهذه الدرجة؟

- ربما أخطأت المكان وتشابهت الأكشاك عندك.

- لقد كنت أحدد مكان الكشك عن طريق الكرسي الحديدي الذي أمامه، فكيف أخطئ؟!

- صف لي صاحب الكشك.

- عينه اليسرى ممسوحة وكأن عليها سحابة، عجوز ووجهه مليء بالتجاعيد، عينه الوحيدة التي يرى بها ضعيفة كما قال لي.

ضاقت عينا الرجل وهو ينظر لـ (يوسف) بتمعن، ثم قال له ببطء:

- أعتقد أنك بذلك تصف عم (صبحي)، ولكن المشكلة أنك لن تجده في سور الأزبكية الآن!

- ؟!!!!!!!!

- لن تجده في سور الأزبكية الآن لأنه في مقبرته، لقد تُوفي عم (صبحي) منذ ما يقارب سبعة عشر عامًا، وكان يمتلك كشكًا بجانب هذا الكشك فعلاً، ويبدو أن أحدهم قد وصف لك المكان والشخص، ماذا يحدث لك يا بني؟ لماذا أنت مندهش هكذا؟ اجلس يا بني فالإعياء يبدو عليك بشدة، هل أنت من طرف أحد أقربائه أم ماذا؟

***

* فلمح بعينيه حجرًا على أحد القبور مكتوب عليه المتوفى إلى رحمة الله محمد السالمي اللحاد أدخله الله فسيح جناته * فاندهش ابن إسحاق كيف كان يكلمه محمد السالمي وهو من الأموات *

***

بالتأكيد لن نستطيع وصف إحساس (يوسف)، فقد كان في حالة من التشتت الفكري، لا يعرف ماذا يفعل، هناك شجرة مكان

الكشك؟ ربما أخطأ المكان، ولكن هذا الرجل عرف الوصف وقال إنه شخص ميت، ميت؟ رباه.. لقد جننت!

- لا لست أحد أقربائه، ولكن يبدو أنني أخطأت في وصف المكان، أو وصف الرجل، أو ربما كلاهما، شكرًا لكما.

- ولكنك قلت إنك اشتريت من صاحب الكشك شيئًا؟

- لقد كنت أقصد رجلاً آخر بالتأكيد!!

غادر (يوسف) الكشك وهو يشعر بالخواء العقلي، عقله يأبى أن يفكر في شيء، كيف يفكر عقله وهو لا يفهم شيئًا مما حدث، المقعد الحديدي.. أوصاف الرجل.. الشجرة الموجودة مكان الكشك.. كل ذلك يؤدي لنتيجة غريبة.. إما أن (يوسف) قد توهم كل شيء وإما أن الرجل الذي قابله منذ قليل كاذب.

الاحتمال الأول يمكنه التأكد من خطئه، لأن صديقه كان معه، ويمكنه أن يتأكد عندما يعود لمنزله من وجود المخطوطة معه، الاحتمال الثاني يبدو خاطئًا أيضًا، لأن هناك شجرة لا يمكن أن توجد هنا قبل سنين عديدة، ويمكن أيضًا التأكد من صحة كلام الرجل ببعض الأسئلة البسيطة لأصحاب باقي الأكشاك بالسور.

تبًا لهذا العقل، دائمًا يحاول إثبات فروض أخرى غير الحقيقة التي بدأت تتشكل في ذهنه، يبدو أن الحقائق التي تقابله قد ازدادت هذه الأيام.

لقد حصل منذ يومين على مخطوطة نادرة، وقد حصل عليها من...

من شخص ميت منذ سبعة عشر عامًا!!!

يبدو أنه قد اقترب كثيرًا من مستشفى العباسية.

***

كان أول ما فعله (يوسف) عند وصوله لمنزله هو الاطمئنان على وجود المخطوطة، فهو برغم كل هذا قد شك لحظة في أنه يُهلوس وأنه لم يشترِ شيئًا، ولكنه وجدها، لِم وجدها؟ لقد كان يتمنى ألا يجدها، فإذا لم يكن قد وجدها كان يمكنه أن يفسر الموضوع تفسيرًا سهلاً.

هو مجنون ويتخيل أشياء ليست لها وجود.

ولكن المشكلة أنه متأكد من أنه لا يُهلوس، إذن فبكل بساطة عليه أن يتقبل فكرة أنه يمتلك مخطوطة من الهواء، لا يعرف كيف ولا مِن مَن اشتراها!

فيلم رعب.. هذا فيلم رعب من تلك الأفلام التي تذخر بها السينما الأمريكية حينما يعرف البطل أن كل من حوله أموات، حينها يهب كالمجنون يقتل كل أبطال الفيلم وينقذ حبيبته.. حبيبته!!

طالما أنه يمثل دور البطل في هذا الفيلم إذن من ستكون الحبيبة التي سينقذها؟

– حبيبة.

كانت تلك العبارة من والدته وهي تنادي عليه من غرفة الصالون، اندهش للحظات حتى أتاه صوت أمه وهي تكمل عبارتها:

- (حبيبة) زميلتك في الكلية تريدك على الهاتف.

آه.. هذه هي البطلة التي عليه أن ينقذها إذن،لم يمنع نفسه من الابتسام وهو يتجه إلى الصالون.

- ألو..

- ما أخبارك يا (يوسف)؟!

- الحمد لله، كيف هي أحوالك؟

- الحمد لله، لماذا لم تأتِ إلى الكلية اليوم؟

- كنت في كلية الآداب أُنهي بعض الأشياء.

ثم نظر (يوسف) خلفه ليطمئن إلى أن والدته قد رحلت، وعندما تأكد من عدم وجود أحد قال بصوت هامس:

- وحشتيني!

ردت عليه (حبيبة) بصوت هامس:

- وأنت أيضًا، ماذا كنت تفعل في كلية الآداب؟

- موضوع يطول شرحه، سأشرح لك كل شيء عندما نتقابل غدًا، هل ستأتين؟

- سأحاول، أبي يعرف جدول المحاضرات جيدًا، وغدًا لا توجد محاضرات.

- حاولي بأي طريقة، قولي إنك ذاهبة لشراء مذكرات أو كتاب جديد لدكتور، أي شيء..

- سأحاول ولكن لا أعدك، لو نجحت سأتصل بك من هاتفي قبل خروجي من المنزل بساعتين، (يوسف) سأضطر لإغلاق الخط الآن قبل أن يصل والدي في أي لحظة.

- سأنتظرك غدًا عند مكاننا، لا اله إلا الله.

- إن شاء الله، محمد رسول الله.

أغلق (يوسف) السماعة، وجلس على أحد المقاعد التي بجانبه وهو يفكر، ذهنه صاف الآن، لا توجد مشاكل من شاكلة مخطوطة ابن إسحاق ولا الأشخاص الأموات الذين يعودون للحياة، لقد نظفته هذه المكالمة من الداخل، فهو يعشق (حبيبة) زميلته في الجامعة منذ رآها أول مرة، لقد جذبه اسمها عندما نطقته إحدى صديقاتها وهي تنادي عليها، فنظر لصاحبة الاسم ليرى إحدى ملكات الجمال، كانت ترتدي الحجاب، وقد زادها جمالاً، تخيل أنك تقف أمام شيء يتوهج بالنور الأبيض الصافي، هذا هو وجه (حبيبة).

تخيل أنك تسمع صوت العصافير الرقيقة وهي تغني، على الأشجار، هذا هو صوت (حبيبة)، عندما رآها أول مرة لم يمنع عينيه من النظر لها، لم يمنع عينيه إلا عندما نظرت هي مصادفة لتلتقي عيناه بعينيها، التقت عيناهما لحظات حتى أدار (يوسف) وجهه خجلاً منها.

ومن تلك اللحظة لم يترك (يوسف) لحظة إلا وحاول اختلاس النظر لعينيها، وكانت تلاحظ هي ذلك مندهشة، فهي تعرف أن زملاءها في الكلية لا يخجلون من شيء.. ولو أراد أن يتعرف عليها لذهب إليها وتعرفا في لحظتها، لكن أن يحاول أن ينظر فقط إلى عينيها، فهذا ما جعلها هي الأخرى تنظر له بين الحين والآخر، حتى إذا التقت عيناهما ابتسما ابتسامة خفيفة وأدار كل منهما وجهه للناحية الأخرى.

ظل الحال هكذا يومين حتى لاحظ أحد أصدقاء (يوسف) إعجابه بها، فتقرب إلى صديقتها حتى يتعرف (يوسف) على (حبيبة)، وتم التعارف وانتقل الموضوع ببطء من مرحلة الصداقة التي استمرت لشهر إلى مرحلة الحب، في الحقيقة لم يكن (يوسف) يعرف كيف يُدرك أنه يحب بحق..

لكنه أراح نفسه من عناء التفكير واعتبر نفسه يحبها بحق، وقد سمع من الكثير من أصدقائه وأقربائه عن الحب الأول، وكيف أنه يفشل دائمًا بلا سبب، أما لو نجحت قصة أو قصتين من قصص الحب الأول فهذا هو الاستثناء الذي يؤكد القاعدة، ذكر له أصدقاؤه الأمثلة الكثيرة عن فلان الذي أحب فلانة ولكنه لم يتزوجها وتزوج علانة وأنجب ولدًا وهو يعيش سعيدًا الآن.

كادت مرراته تنفجر وهو يسمع تلك الرواية من كل الناس باختلاف طرق روايتها، وكأنهم يقولون حكمًا ونبوءات، وكأن السعادة في نظرهم أن تتزوج أي فتاة وتُنجب ولدًا، وتأتيَ كل يوم إلى

المنزل وأنت تحمل كيلو (موز) وكيلو (جوافة) لتأكلا هانئين، هذه هي السعادة في نظرهم، سعادة خيالية مليئة بالملل والتعود، جيل ممل ينتج جيلاً مملاً أخر.

فجأة توقع له الناس أن حبه الأول سيفشل مائة في المائة، لأنها قاعدة معروفة، يبدو انهم لم يسمعوا عن القدر، ومشيئة الله عز وجل، أو عن النصيب.

وبرغم كل الحكايات التي ملأوا بها أذنه استمر حبه لـ (حبيبة) لثلاث سنوات، إذن ما المشكلة؟ إن الأغبياء ليس.. ما هذا الذي يسمعه؟

إنه أذان المغرب يتردد من المسجد القريب.

قام ليتوضأ حتى يلحق صلاة المغرب في المسجد، أتم وضوءه ثم خرج من المنزل وهو يدعو متجهًا للمسجد.

***

5

قرابة قديمة

عاد (أحمد) صديق (يوسف) لمنزله وهو يفكر في كلمات (يوسف) عن تلك المخطوطة التي وجدها، وهل يمكن أن تكون حقيقية وتكون معدة فعلاً لاستدعاء أحد خدّام الجن الذي سيهب الثروة لمن يستدعيه؟

دخل (أحمد) الشقة وألقى السلام على والده ووالدته اللذين كانا يجلسان على الأريكة يتابعان أحد المسلسلات التي تُعرض في التليفزيون، ثم دخل إلى غرفته ليبدل ملابسه.

ولكنه توقف للحظة وقد حضرت في رأسه شخصية ما.

خاله (عماد)، يا لها من ذكريات! لقد فكر في خاله (عماد) الذي انقطعت صلة عائلته به منذ فترة طويلة.

هنا جلس (أحمد) على فراشه وطفق يتذكر منذ أن كان صغير السن وخاله يجلس معه يحدثه عن أمور الجن والعفاريت والسحر

والظواهر الغريبة، كان يعيش معهم منذ ما يقرب من عشر سنوات في غرفة في نفس الشقة.

ولكن حدثت أمور كثيرة جعلت العائلة تغضب عليه، فخاله كان يمتلك في غرفته مكتبة كبيرة جدًا تحتوي على كتب تتكلم عن اللغات السامية والمنقرضة والحضارات القديمة، ولكن الجزء الأكبر منها كان يتركز على كتب السحر، وتاريخ استخدامه، لم تكن الكتب مكتوبة جميعها باللغة العربية ولكن كانت هناك الكثير من الكتب التي كُتبت باللغة الإنجليزية والفرنسية ولغات أخرى لم يفهمها (أحمد).

لقد كان يسمع والده يتكلم مع والدته عن أن خاله يمتلك قدرة رهيبة على قراءة لغات عديدة، وأنه هو من ثقف نفسه بنفسه منذ صغره.

ولكن مع مرور الأيام بدأ يسمع التذمر من العائلة وهي تتذكر خاله بكل سوء بسبب تجاربه وأبحاثه الغريبة، لم يفهم معنى الكلام عندما كان صغيرًا، وفي ليلة ما سمع الجميع أصواتًا غريبة تصدر من غرفة خاله، وعندما خرجوا من غرفهم فوجئوا جميعًا بأثاث الشقة يتحرك كله للأعلى وهناك أنوار تخرج من غرفة خاله.

كان صغيرًا لا يتذكر التفاصيل بالكامل، لكنه يتذكر الصراخ والعويل ووالدته تجري هي وجدته في كل مكان، ثم لا يتذكر شيئًا

غير أن خاله رحل في اليوم التالي، وبعد يومين جاء مرة أخرى ليجمع حاجياته وكتبه وملابسه ثم رحل لا يعلم إلى أين.

ومرت سنون طويلة يكاد لا يعلم عن خاله شيئًا، إلا أنه كل عدة شهور يتلقى منه اتصالاً يسأله فيه عن أحوال العائلة وعن أحواله، فيما بعد علم أنه يقيم الآن في شقة في الهرم، لم يتزوج بعد على ما يبدو.

حتى وجهه لا يتذكره جيدًا، ولكنه كان يتضايق دائمًا عندما كان يسأل عن خاله فتكون الإجابة دائمًا في شكل أمر بعدم فتح الموضوع مرة أخرى.

وفي آخر ثلاث سنوات زاد الاتصال بين أمه وخاله، كل أربعة أو ستة أشهر، بعدما ترك خاله رقم هاتف منزله مع أمه.

لم لا يستعين به في مسألة المخطوطة؟!

***

انتهى (أحمد) من الغداء واستغل الفترة التي يدخل فيها والده لغرفة نومه وتذهب أمه للمطبخ في أن يذهب إلى الهاتف ويمسك بدفتر الأسماء الذي يُسجل فيه أسماء وأرقام معارف أسرتهم.

جميل، الرقم هو (.......)، سجل (أحمد) الرقم على ذاكرة هاتفه المحمول ثم دخل إلى غرفته سريعًا.

في داخل الغرفة أعاد (أحمد) طلب الرقم مرة أخرى من هاتفه المحمول، وانتظر حتى سمع الجرس.

- السلام عليكم.

– وعليكم السلام، من معي؟

– هل هذا منزل السيد (عماد محمد عبد الحميد)؟

– نعم هو منزله، تحت أمرك!!

– ألا تتذكرني يا خالي، أنا (أحمد) ابن شقيقتك الوحيدة.

– أحمد! لا يمكن، كيف حالك أيها الولد الشقي، ولماذا لم تسأل عني كل تلك الفترة؟ خيبك الله!

– هل تتذكر قديمًا يا خالي عندما كنا نجلس لنتسامر وتحكي لي القصص والأساطير، يا لها من أيام.

– أنت الذي لا تسأل على خالك أيها الشيطان الصغير، حدثني عن أحوالك؟

– ما رأيك أن ألتقي بك يا خالي لأنني أريد رؤيتك بشدة؟

– على الرحب والسعة، هل تعلم عنوان شقتي؟

– لا.

– إذن دعني أصفه لك.

حفظ (أحمد) الوصف جيدًا ثم قال له إنه سيزوره في اليوم التالي.

نحن الآن في منزل (يوسف) الذي يجلس على جهاز الكمبيوتر يفعل شيئًا ما، أعتقد أنه يستخدم الماسح الضوئي ليدخل إلى جهاز الكمبيوتر نسخة من المخطوطة، كان منشغلاً فيما يفعله حتى رن جرس هاتفه المحمول، فنظر إلى شاشته ليرى اسم (أحمد) صديقه، فرد عليه:

– السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

– ما أخبارك يا (يوسف)؟

– الحمد لله، خيرًا؟

– هناك شيء خطر بتفكيري سيساعدنا كثيرًا في موضوع مخطوطتك التي تبحث عن أصلها.

– انجدني!

– لي قريب له خبرة كبيرة في اللغات القديمة وله قراءات كثيرة في السحر والتاريخ الأوروبي القديم وتاريخ الحضارات القديمة، ما رأيك أن نقوم بزيارته ونعرض عليه المخطوطة ليقول رأيه فيها، فربما كان ذا فائدة لنا؟

– ومتى ظهر لك هذا القريب العبقري أيها التافه؟!

– هو خالي وقد انقطعت صلته بعائلتي منذ سنوات طويلة.

- لماذا؟

- هذا موضوع يطول شرحه، ما رأيك أن نذهب لمقابلته غدًا بعد انتهاء كليتنا؟

- موافق.

- إذن متى نتقابل؟

- اممممممممممممممم، ما رأيك في الساعة الثانية أمام مدرج (....) بكلية الحقوق، حتى أكون أنهيت محاضراتي وجميع مواعيدي؟

- جميل اتفقنا، ولكن قبل أن أذهب إليك سأتصل بك لأتأكد أنك أنهيت محاضراتك.

انتهت المكالمة على هذا الاتفاق ثم انتبه بعد ذلك لما كان يفعله، فأخذ يعمل على الانتهاء سريعًا من إدخال المخطوطة على جهاز الكومبيوتر الشخصي.

جالت برأسه بعض الأفكار عن ميعاده غدًا مع (أحمد)، ما هذا؟! لقد أعطى ميعادًا أيضًا لـ (حبيبة)، ماذا سيفعل؟

وهنا انشغل تفكيره بأشياء أخرى بعيدًا عن المخطوطة.

***

6

الكابوس الغريب

النوم شيء مريح، وخصوصًا إن كان الشخص النائم مرهقًا منذ الصباح الباكر، إن (يوسف) من الأشخاص الذين إذا ناموا كـانوا كالحجر لا يتقلب ولا يتحرك، بل تكاد تشك أنه لا يتنفس، فكـان غريبًا الآن أن نرى ما نراه عليه وهو نائم.

هو الآن نائم على جانبه الأيسر، يبدو كالحجر في تصلبه، ولكنه فجأة ارتعش رعشة خفيفة، ثم تلتها رعشة ثانية، ثم ثالثة، لو اقتربنـا الآن من عينيه، وفتحناهما سنرى حدقتي عينيه تتقلبان في محجريهمـا بسرعة كبيرة نسبيًا، وهذا ما يدل على أنه الآن داخل حلم.

إذن هيا نقترب أكثر لنرى الحلم الذي يراوده الآن..

(يوسف) يقف أمام عرش كبير مطعم بالذهب، وحـول هـذا الكرسي المطعم بالذهب يرى نارًا تشتعل في مكان وتخمد في مكـان آخر، ثم تخمد في المكان الذي اشتعلت فيه وتشتعل في مكان آخـر، فنظر حوله ليجد أنه يقف أمام العرش والماء يحيط بـه مـن جميـع

الجهات، وظلام الليل حالك لا يبدده إلا النار التي تأججت حول هذا الكرسي المذهب، ثم سمع فجأة صوتًا يتردد من حوله قائلاً بصوت كالفحيح:

(هليع يا من تسمعون في وادي القرنيم بحق سيدكم وبحق مقبلكم فكوا قيد ابن ذاعات فكوا قيد ابن ذاعات فكوا قيد ابن ذاعات فيدعاهاظ موسماعل بق حتى إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه شرطيائيل موهوقمي نوخيشما بهدار مخلبي).

ظل الصوت يردد تلك الكلمات حتى انتهى منها وهنا سمع (يوسف) صوت احتكاك جسد معدني، كأنك أتيت بسلاسل حديدية ورميتها على الأرض، ولكن الصوت كان عاليًا.

المشكلة أن (يوسف) قد عرف أنه يحلم منذ بداية الحلم وحاول الاستيقاظ أكثر من مرة، ولكنه مقيد في مكانه، حتى وهو يُعايش الحلم صار عقله يفكر، أين سمع تلك الكلمات؟! أين سمعتها من قبل؟ يبدو لي أنني سمعتها أو قالها شخص لي.

كان يفكر والحلم يسير في نطاقه الطبيعي، وكأنه يشاهد فيلمًا سينمائيًا وله إرادته الخاصة، حيث يمكنه الخروج من دار السينما في أي لحظة، حاول الخروج من الحلم ولكن بلا جدوى.

وهنا رأى في الحلم أربعة رجال يمشون باتجاه الكرسي المذهب، وهم مكبلو الأيدي والأرجل بالسلاسل، ويمشون وكأنهم في حالة من التنويم المغناطيسي، ظل يتابعهم ببصره حتى شاهدهم وهم يقفون أمام الكرسي، ثم يعطونه وجوههم.. كان الأشخاص الأربعة مختلفين في

أشكالهم ولكن يجمع وجوههم شيء واحد، مسحة من الحزن، نعم مسحة من الحزن تُغلف وجوههم كأنهم ارتكبوا إثمًا أو أذنبوا ذنبًا.

كان يقول في نفسه يا ترى متى ينتهي هذا الكابوس المرعب؟ ثم شم رائحة شياط تغمر أنفه، . ترى هل هذا الشياط قادم من مطبخهم ولقد دخلت رائحته إلى الحلم؟

أم إن أنفه يمكنها أن تشم تأثيرات الحلم؟ في الحقيقة لم يفكر كثيرًا، لأنه رأى من أين تأتي رائحة الشياط.

لقد رأى الأربعة المكبلين بالسلاسل وهم يعرقون بغزارة ثم يصعد دخان من أجسادهم، لماذا يصعد الدخان من أجسادهم؟ لأن وجوههم تذوب، بالطبع كان مشهدًا مثيرًا للاشمئزاز أكثر من كونه مرعبًا، وجوههم تسيح وتتحول لسائل لزج يتساقط على الأرض ببطء.

وهنا أحس (يوسف) بالحر، إن الحر هذه الأيام في الأحلام لا يطاق، يجب أن يهتموا بتركيب مبرد هواء أو مروحة في الأحلام، ولكن الحر تحول لنار، نار شديدة يشعر بها تحرق جلده، لا لا، إنه يذوب، يذوب، فهو يشعر بذلك، إنه يفقد القدرة على التنفس، يذوب ويفقد القدرة على التنفس ويحاول جاهدًا أن يأخذ شهيقًا فلا يجد، كأن رئتيه مملوئتان بالهواء ولا تريدان المزيد، لا إنه يموت، لقد قرأ قديمًا أن الإنسان إذا مات داخل الحلم يموت في الواقع، إنه يشعر بذلك الآن، إنه يموت، نفسه يختنق، لا يقدر على سحبه، جسده يسيح، هناك حر لا يطاق.. لا!!..

ماذا يحدث؟ لقد استيقظ (يوسف) أخيرًا من ذلك الكابوس، ظل لحظات ينظر إلى سقف غرفته وهو يُقنع عقله أنه بخير وأن الحلم انتهى منذ مدة، وأنه حي يرزق، كان عقله يرتعد بشدة من الحلم، يرتعد كلما تذكر أي إحساس من الذي راوده في الحلم.

يا ترى هل سمع أحد في المترل صراخه بعد أن استيقظ من الحلم؟ بالطبع لا، في الأفلام عندما يصرخ البطل يرى الجميع يهرعون وهم يدخلون من الباب ويهدئونه، أما الآن يبدو أنه لو مات مذبوحًا فلن يشعر به أحد.

وعندما بدأ يهدأ بدأت شفتاه تلقائيًا ترددان بعض آيات القرآن الكريم وبعض الأدعية بصوت خافض.

وهنا اكتشف (يوسف) أن هناك بللاً بسيطًا في فراشه، فكاد أن يبتسم وهو يقول في نفسه هل عادت أيام الطفولة مرة أخرى؟ ولكنه فهم من أين يأتي هذا البلل، إن جسده بالكامل مليء بالعرق وكأنه يعمل في فرن!

عرق غزير، ودرجة حرارة جسده مرتفعة كأنه مصاب بالحمى، هو لا يفهم من أين أتى هذا العرق ولا هذه السخونة، لكنه يعرف أنه رأى نفسه في هذا المشهد من قبل.

في الحلم بالتأكيد، هناك تفسير جاهز بالطبع لهذا العرق وتلك السخونة، لشدة حرارة الجو بالطبع، ولانفعاله الشديد في الحلم.

نعم هذا تفسير مريح، ولكنه تذكر أن الجزء الثاني من تفسيره- الانفعال الشديد في الحلم - تفسير صحيح، أما الجزء الأول من تفسيره - شدة الحرارة - فليس صحيحًا تمامًا.

ببساطة لأنه في شهر (يناير)، أو بتفسير آخر هو في فصل الشتاء، وبالتحديد في أشد أوقاته بردًا.

مد (يوسف) يده اليمنى يتحسس مكتبه الصغير الذي يلتصق بفراشه ليبحث عن هاتفه المحمول حتى يرى الساعة الآن.. الثانية بعد منتصف الليل، إذن عليه أن ينام الآن حتى يستيقظ مبكرًا للذهاب للكلية.

أخذ يردد بعض الأدعية مرة أخرى حتى هدأ قلبه قليلاً، وقال في نفسه: عندما أستيقظ من النوم يمكنني تذكر الحلم مرة أخرى ويمكنني التفكير فيه كما يحلو لي، أما الآن فالحل اللذيذ هو النوم.

***

تيت تيت دن تيت تيت دن تيت دن تيت تيت دن تيت تيت دن دن دن تيت دن دن دن تيت..

إنه صوت هاتف (يوسف) المحمول عندما يضبطه على المنبه لكي يستيقظ، وإن أردت الحقيقة فإن صوته مزعج، فهو يزعج (يوسف) من النوم دائمًا.

مد هذا الأخير يده يتحسس المكتب وهو مغمض العينين باحثًا بيده عن الهاتف ليغلقه كي يكمل نومه، ولكنه تذكر أنه دائمًا يترك الهاتف بعيدًا عن متناول يده وهو نائم على فراشه، وذلك مقلب

يفعله في نفسه كل صباح، فهو دائمًا عندما يُزعجه المنبه وهو نائم فإنه يغلقه ويكمل نومه، ويتأخر في الغالب عن مدرسته، فتعلم مع الوقت أن يضع المنبه أو الهاتف بعيدًا عن متناول يده وهو نائم لكي لا يغلقه ويتأخر.

تيت تيت دن تيت تيت دن تيت دن تيت تيت دن تيت تيت دن دن دن تيت دن دن دن تيت دن دن دن تيت تيت تيت..

ظل الهاتف المحمول يطلق تلك النغمة المزعجة و(يوسف) يتأفف، فأطلق سبة وبدأ يفتح عينه اليسرى واحتفظ بعينه الأخرى مغلقة، ويفكر وصوت الهاتف المزعج يتردد:

لم يذهب اليوم للكلية؟ لم لا ينام اليوم؟

وفجأة تذكر موعده مع (حبيبة) ثم موعده مع (أحمد).. أزاح الأغطية عنه، واتجه ناحية الموبايل ليغلقه، ثم دخل إلى دورة المياه لأداء الطقوس اليومية المعتادة التي تنتهي دائمًا بخروجه إلى الصالة، ثم أداء صلاة الصبح بغرفته.

في ذلك الوقت استيقظت والدته وشقيقته الصغرى.

وأين والده؟ إنه في إحدى الدول الأوربية يعمل هناك منذ عشر سنوات، ويعود كل عامين ليظل شهرين في مصر ثم يرحل، لذلك كانت أحوال (يوسف) المادية متيسرة، أما أمه فقد كانت تعمل في إحدى الوظائف الحكومية ويمكنك أن تعرف أنها تعمل لشغل وقتها، لكي لا تموت من الملل وهي تجلس في المنزل طوال النهار.

أما أخته فكانت طالبة في المرحلة الثانوية، ويبدو أنها من الطلاب الذين اتخذوا من التفوق منهجًا لهم ،كما يطلق عليها أصدقاؤها (الدحيحة)

نأتي مرة أخرى لـ (يوسف) وهو يصلي صلاة الصبح، إنه يجبر نفسه على التركيز في الصلاة، ربما شرد ذهنه لحظة أو غفل ولكنه يعود مرة أخرى، ولكنه في وسط صلاته تذكر الحلم الذي حلم به الليلة السابقة، استعاذ بالله من همزات الشياطين، كان قد تعلم أن تلك من همزات الشيطان في الصلاة.

بعد انتهاء الصلاة نظر إلى الساعة ليجدها السابعة إلا ربعًا تقريبًا، سيجلس ينتظر (حبيبة) أن ترن على هاتفه حتى يعلم أنها ستكون موجودة في الكلية بعد ساعتين، سيأتي الاتصال في خلال نصف ساعة، لأن هذا هو موعدها دائمًا، بعدها إذا لم تتصل فذلك سيعني أنها لن تأتي اليوم، وسيكون عليه أن ينتظر حتى يأتي موعد (أحمد).

وهنا تذكر مرة أخرى الحلم المزعج الذي راوده أمس، يا له من حلم، (يوسف) من النوع الذي لا يتذكر أحلامه.. يقول دائمًا إنه لا يحلم، ولكن هذا خطأ شائع، فبمجرد نومك تبدأ أحلامك، ولكن بعض الأشخاص لا يتذكرون أحلامهم فيعتقدون أنهم لا يحلمون، و(يوسف) من هذه الفئة التي لا تتذكر أحلامها، وإذا تذكرها كانت أحلامًا من شاكلة القطط التي تطير مبتسمة، أو تحلم بأنها تضرب شخصًا تكرهه، أو أحلام المنبه (أي التي يدخل فيها مؤثر خارجي كطرقات باب إلى الشخص النائم فيبني له العقل حلمًا).

ولكنه لم يحلم بهذا النوع من الأحلام قط، أو إذا أردنا الدقة هو لم يحلم بهذا النوع من الكوابيس من قبل، كابوس ثلاثي الأبعاد، بل كابوس مليء بالأحاسيس السمعية والبصرية والجسدية، لقد رأى عرشًا أو كرسيًا كبيرًا مطعمًا بالذهب في الحلم، فهل يعني هذا أنه سيُمسك حكم البلاد؟ ضحك للفكرة في نفسه.

ثم ماذا عن سماعه للكلمات وهي تردد؟، تلك الكلمات هي ببساطة إحدى كلمات المخطوطة، ولكن المشكلة أنه لم يحفظها، فكيف يأتي بها عقله داخل الحلم ويدمجها بهذا المشهد؟ هو كان سيقبل الفكرة لو كان يحفظ الكلمات جيدًا ولكنه لم يقرأها إلا مرة واحدة، بل لم يتبينها ولم يدقق فيها ولا في معناها، فكيف يحفظها؟

أما هؤلاء الأربعة الذين ظهروا فربما يكون عقله قد ربط بينهم وبين الفقراء الأربعة في المخطوطة، نعم هذا هو الشيء الوحيد المقنع في هذا الموضوع، لقد قرأ المخطوطة ثم تأثر بالفقراء الأربعة، وتكفل عقله بتخيل أشكالهم وإدماجهم في الحلم، ولكن لماذا تخيل أجسادهم وهي تذوب؟ لا يمكن أن يكون عقله فعل ذلك من تلقاء نفسه لأن عقله لو كان تأثر بالفقراء الأربعة الذين قرأ عنهم في المخطوطة، فذلك يعني أن عقله سيجعله يتخيل أن ثلاثة فقط أجسادهم ستذوب لأن الرابع قد هرب حسب نص المخطوطة.

هناك ثغرة في ذلك الحلم لا يفهمها، هو يعرف أن هناك الكثير من الجهلاء الذين ينسبون أي شيء إلى العقل، ويبحثون لها عن اسم كبير غير مفهوم، ولكنهم جهلاء، ليس لجهلهم التعليمي، بل ربما

كانوا على درجة عالية من الثقافة، ولكنهم على درجة كبيرة من الجهل، لأنهم عندما تعترضهم ظاهرة غريبة يطلقون عليها اسمًا قويًا يُرعب من يسمعه أو يعتبرونها خرافة، وهم بذلك يشبهون الجهلاء الأميين، فهؤلاء من ناحية ينسبون أي شيء غير مفهوم إلى العفاريت وأمنا الغولة، وهؤلاء من الناحية الأخرى ينسبون كل شيء غير مفهوم إلى العلم أو الخرافة، والفريقان في الغالب على خطأ.

ما يحير (يوسف) فعلاً مسألة العرق الغزير والسخونة الشديدة التي اعترت جسده عند استيقاظه من الحلم، هو في الحلم يحترق ويذوب مثلهم، ولكن كيف يخرج هذا الإحساس إلى الواقع الفعلي! ثم لماذا يذوب مثلهم؟ إن الموضوع به حلقة مفقودة يعجز عقله عن الوصول إليها أو استنتاجها.

ربما لو سأل شـ.......

عيون القلب سهرانة مابتنامش، لا أنا صاحية ولا نايمة مابقدرش، يبات الليل، يبات سهران على رمشي، وأنا رمشي ما داق النوم وهو عيونه تشبع نوم..

فزع (يوسف) من تردد تلك الأغنية وهو يفكر في الكابوس، وبعد لحظة تذكر أن تلك النغمة المخصصة لـ (حبيبة).

يا لها من رومانسية، إذن فستكون (حبيبة) في الكلية بعد ساعتين من الآن كما اتفقا أمس، ذهب لارتداء ملابسه كي لا يتأخر على ميعاد (حبيبة) وصديقه.

7

الجامعة مرة أخرى

هل تتذكرون صديقي (يوسف)؟ (محمود إسماعيل) و(مصطفى أسامة) الطالبان بكلية الآداب قسم التاريخ؟

هما الآن يجلسان في إحدى قاعات المحاضرات بمبنى الكلية، وأحد الأساتذة الكبار يلقي محاضرة ما عن شيء يبدو هامًا له، لأنه كان مندمجًا في الشرح، أما الطلاب فقد ارتسمت على وجوههم نظرة ناعسة، وبعضهم نام منذ زمن بعيد ولا يدري من الدنيا شيئًا.

بعض الطلاب قرروا أن يستفيد من الوقت الذي يشرح فيه الدكتور بأشياء أخرى، قراءة الجريدة مثلاً، أو التحدث بصوت هامس جدًا عن أهم حوادث البلاد الأخيرة، وربما تجد طالبًا هنا أو هناك يدون في كشكول محاضراته شيئًا ما قاله الدكتور أو ملاحظة هامة عن المادة، ولكنهم غالبًا ما يملون من كثرة الكتابة فيتركونها لأصحابها ويذهبون لممارسة أعمال أخرى كالتي حكينا عنها.

ولكن يبدو أن (محمود) و(مصطفى) لم يملا بعد، فمازالا يتابعان الدكتور بشغف، ويدونان وراءه الملاحظات وأهم ما يقوله، حتى

جاءت اللحظة التي يحس فيها الطلاب بأن الدكتور سيُنهي محاضرته، فتبدأ وجوههم العابسة في الابتسام، والوجوه الناعسة في الإفاقة من نعاسها، ويعلو الصوت في قاعة المحاضرات بين الطلاب وقد أحسوا بالفرحة الغامرة لانتهاء المحاضرة.

نهض الدكتور من على مقعده وألقى السلام، ثم اتجه إلى الباب هاربًا من المذبحة الطلابية التي ستحدث حالاً أثناء اندفاع الجميع إلى باب القاعة الصغير، الذي لا يسع أكثر من اثنين من الطلاب على الأكثر، ولكنك ترى (محمود) و(مصطفى) وهما يندفعان بين الطلاب بخفة ليصلا إلى الدكتور قبل أن يختفي من أمام أعينهم، لقد خرج بالفعل من القاعة، ولكنهما مازالا يهرولان للحاق به حتى وصلا إليه.

– دكتور (يسري).. دكتور (يسري).

– نعم؟

– الحقيقة أننا لدينا بعض الأسئلة نرجو الإجابة عليها إذا سمح وقت حضرتك الآن.

– بالطبع وقتي يسمح، ولكن هيا بنا إلى مكتبي قبل أن تدهسنا أقدام الطلاب أثناء خروجهم من الباب.

بالفعل ذهب الدكتور والطالبان يتبعانه، حتى وصلا إلى قسم التاريخ ومكاتب أساتذته، فدخل الدكتور أحد المكاتب التي يشترك بها حوالي ثلاثة أساتذة آخرين في القسم، وجلس على أحد المكاتب ثم دعا الطالبين للجلوس على مقعدين أمامه.

- هل هناك شيء في محاضرة اليوم تريدان مناقشته بشيء من التوسع؟

فرد (مصطفى):

- لا يا دكتور، المحاضرة اليوم جميلة لا تحتاج لتوضيح، ولكن نريد أن نسألك سؤالاً تاريخيًا لا يتعلق بمنهجنا.

- ما هو؟

- لقد قرأنا أثناء تصفحنا شبكة الإنترنت على إحدى المنتديات عن شخصية رحالة اسمه (أحمد بن إسحاق البغدادي).

يبدو أن الاسم لم يكن له أي تأثير على الدكتور حين سمعه، فأكمل (مصطفى) قائلاً:

قرأنا أن هذا الشخص قد أتى لمصر ومرّ بمدينة غريبة رأى فيها أشياء عجيبة تحدث، كأنه رأى شخصًا مات منذ سنين يحدثه ويحكي له عن أسرار تلك البلدة، وأن ابن إسحاق قد ألف كتابين أحدهما يسمى (كنز الرحلة) على ما أعتقد، ولكن الناس قد أحرقوا كتبه، ولم ينج منها غير حكاية واحدة من كتابه (كنز الرحلة)، حكاية قد دونها أحد تلاميذه، نقلها من الكتاب قبل حرقه، ولكن المخطوطة التي دُوّنت بها الحكاية لم يرها العلماء حتى الآن.

الحقيقة أننا نريد بشدة أن نعلم هل تلك القصة حقيقية أم لا؟ وهل هناك مخطوطة في الحقيقة أم لا؟

- هذه المعلومات لم أسمع بها من قبل، ولكن مرا عليّ غدًا في هذا المكتب الساعة الواحدة ظهرًا لتعرفا الإجابة.

- الحقيقة أننا عاجزان عن شكرك ونأسف لسؤالنا هذا الذي سيأخذ من وقتك الثمين الكثير.

ضحك الدكتور قليلاً ثم قال:

- لا تتأسف يا بني، فربما أنا الذي أشكركما على أنكما ستضيفان لي معرفة أخرى على ما أعرفه، فأنا متشوق للبحث عن معلومات تاريخية عن هذا الرجل.

شكراه مرة أخرى ثم انصرفا من مكتبه.

وهما يسيران في خارج القسم قال (محمود):

- ولكن لم وقع اختيارك على دكتور (يسري) بالذات ولم تختر أيًا من أساتذة القسم الآخرين لسؤالهم؟

- أولاً: لأن تخصص دكتور (يسري) هو التاريخ الإسلامي.. ثانيًا: لأنه الأكبر سنًا والأكثر خبرة في قسم التاريخ في مجال التاريخ الإسلامي، والحكاية التي رواها لنا (يوسف) تُصنف تحت مسمى التاريخ الإسلامي لو كانت لها أسس أو جذور واقعية.

- جميل، ولقد قمنا بما هو مطلوب منا والآن هل نبلغ (يوسف) أم ننتظر إلى أن نعرف رأي الدكتور في موضوع المخطوطة؟

- من رأيي أن ننتظر حتى نعرف غدًا رأي الدكتور، ثم نذهب لـ (يوسف) أو نتصل به لنخبره بالنتيجة، وليخبرنا هو أيضًا بنتيجة بحثه في سور الأزبكية عن الرجل الذي باعه المخطوطة...

- أنا أشعر بالجوع الشديد، ماذا عنك؟

- أنا أيضًا، إذن هيا بنا إلى الكافيتريا لنأكل شيئًا.

كانت علامات الذهول ترتسم بوضوح على وجه (حبيبة) وهي تستمع إلى (يوسف)، وهو يروي لها قصته مع المخطوطة منذ أن اشتراها إلى أن علم بأن العجوز الذي باع له المخطوطة قد مات منذ سنين طويلة، كانت تصدق (يوسف) في كل كلمة يقولها، هي لا تعرف لماذا تصدقه دائمًا، لكنها تحبه حقًا وتشعر بالأمان معه دومًا، ربما منذ التقت عيناهما أول مرة قبل أن تعرفه وهي تشعر براحة وهي بجانبه، تشعر بدفء وجوده بجانبها، ربما في لحظات أحست بأنهما قد تسرعا بالارتباط، لكنه إذا ابتعد عنها كانت تُحس بأنها طفلة صغيرة قد تركتها أمها وحيدة، ربما أرادت أن تبكي وتضرب الأرض بقدميها كالأطفال عندما يغيب عنها، لكنها تتمالك نفسها.

بالرغم من أنه لا يوجد شيء يميز (يوسف) في مظهره أو في طباعه، إلا أنها تشعر بقوة رهيبة عندما يكون بجانبها، ضعيفة في البعد عنه قوية في القرب منه.

كانت قديمًا تسخر من زميلاتها عندما يخبرنها بحكايات عن حبهن وعن سهر الليل، والهيام وعد النجوم، ولكنها كانت تضحك بحكمة ورزانة وتقول:

إنكن تخلقن هذه الأحاسيس والمشاعر لأنفسكن، فالحب الأول خرافة، انتظرن حتى يأتي لكنّ العريس المناسب ثم يأتي الحب بعد الزواج.

هي الآن تضحك من نفسها على كلامها القديم، لقد تغير رأيها تمامًا بعد أن أحبت (يوسف)، ولكن ما الذي جذبها في (يوسف)؟

هي لا تعرف، ولكنها تعتقد أنها أحبته لأنه لم يكن يميل لاستعراض مهاراته كلما رأته، فكل الشباب الذين كانت تتعرف عليهم كانوا يميلون لتغيير طبعاهم أمامها حتى تُعجب بهم، فيبدأ هذا في إلقاء النكات، وهذا في الرومانسية، وهذا في سرد حكاياته مع الأشرار.

إلا (يوسف)، فطبيعته الهادئة كانت تغلب عليه دائمًا بلا أي تكلف، ولكن إعجابه بها كان يفضحه من نظرات عينيه، عينيه التي طالما كانت تنظر لها في الخفاء وهي تتحدث مع صديقاتها، وعندما تنظر إليه يحمر وجهه خجلاً ويرتبك ويحاول إشاحة وجهه سريعًا.

تلك العينان اللتان تُشعان ذكاءً رهيبًا، ربما تعتقد أن عينيه عينا ذئب فيهما خبث الدنيا، ولكنها تعرف أن لون عينيه وتكوين حاجبيه هما ما يعطيان عنه هذا الانطباع الأول، ولكنها بعد ذلك أحست أن تلك العينين هي ما تعطيانها الأمان والدفء.

إن (حبيبة) تعرف جيدًا بُعد (يوسف) عن الشجار أو العنف.

ولكنها تتذكر يوم أن كانا يسيران باتجاه المترو بجانب بعضهما، ثم تعرض لهما شابان بالكلام البذيء، لقد كانت تحث (يوسف) على

السير وأن لا يستمع لهما، وقد توقعت أن يبتعد (يوسف) ويكملا مسيرهما، ولكن الشابين أكملا تحرشهما بالسباب، فرأت (يوسف) وهو يلتفت ببطء لهما، وحدقتا عينيه تضيق ببطء، وحاجباه يقتربان من بعضهما.

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة غريبة تكاد تقسم أنها ابتسامة ذئب – لو كان الذئب يبتسم – يرى فريستين سيأكلهما بعد قليل.

وفجأة رأت (يوسف) تحول من شيء وديع إلى إعصار، هي لم تدرِ ما حدث من سرعته، ولكنها رأت بعد أقل من دقيقة الشابين، أحدهما أُغشي عليه، والآخر يمسكه (يوسف) ويكيل له لكمات سريعة إلى أنفه التي تحطمت تمامًا، والشاب قد انهار وهو يحاول التنفس من فمه والاعتذار.

والشيء المضحك أنها رأت (يوسف) بكامل ملابسه ولم يصبه شيء، أما الشابان فقد تقطعت ملابسهما وسالت الدماء من أجزاء جسديهما، وقد كُسر أنف أحدهما، وكُسرت يد الذي أُغشي عليه.

خلّص الناس أحد الشابين من (يوسف) بأعجوبة، حتى إنهم قاموا برفع (يوسف) من عليه لكي يبعدوه عنه، بعد ذلك أكمل معها السير وكأن شيئًا لم يحدث.. ارتعدت منه في نفسها قليلاً، هل هذا الشاب الهادئ يخفي تحت جلده وحشًا همجيًا؟

في داخلها كانت فرحة الدنيا تملأها، هي كانت تريد حبيبًا عاديًا ولكنها وجدت حبيبها يمكن له أن يقتل عشرة إذا اقتضى الأمر لكي يدافع عنها.

بالطبع قد حكت تلك القصة لكل صديقاتها وزملائها بافتخار وكأنها هي التي ضربت الشابين لا (يوسف)، كانت تشعر بالغبطة والسرور لأن الجميع يعرف أن هذا الوحش يحبها هي، لم تكن بالطبع تحبه لأنه يجيد ضرب الناس، ولكنها ازدادت فرحًا لأنها عرفت كم يمكن أن يضحي من أجلها، وارتعدت فرائسها قليلاً وهي تتخيل إن هي أغضبته في يوم من الأيام بعد زواجهما، ربما لن يكتفي بكسر ضلع واحد لها، أو ربما فعل بها مثلما فعل بالشابين اللذين تعرضا لها.

نعود مرة أخرى للحكاية التي كان (يوسف) يرويها لـ (حبيبة)، والتي بمجرد الانتهاء منها نظر لها ليرى تأثير القصة عليها.

- هل تريد رأيي؟

- بالتأكيد.

- وهل تعدني أنك ستأخذ به؟

- أعدك أنني سأعمل به إن اقتنعت به.

- إذن تخلص من تلك المخطوطة، ولتنه ذلك الموضوع، فلن تستفيد منه شيئًا.

نظر (يوسف) إلى الأرض وهو يفكر جديًا في التخلص من المخطوطة أو على أقل تقدير أن يعطيها لشخص آخر يمكنه أن يتحمل مسؤوليتها.

ربما آن الأوان أن يتخلص منها.

8

رجل المخطوطة

بمجرد انتهاء (يوسف) من مقابلته مع (حبيبة) كانت الساعة قد قاربت على الثانية، فتوجه بسرعة ليقف أمام المدرج الذي اتفق مع (أحمد) على مقابلته عنده، وبعد دقائق تلقى اتصالاً من (أحمد) ليتأكد من وجوده في الميعاد أمام المدرج، تقابلا وغادر الاثنان الجامعة.

في الطريق إلى شارع الهرم بدأ الحديث بين الصديقين عن خال (أحمد):

- لكن أنت لم تشرح لي ماذا حدث من خالك كي تقاطعه عائلتك؟!

- في الواقع لا أتذكر جيدًا، لكني أتذكر أني كنت طفلاً صغيرًا وكان خالي (عماد) يعيش معنا في نفس الشقة، حتى إنه كانت له غرفة خاصة به، كان مرحًا وكثير الدعابة ويلعب معي كثيرًا ويحكي لي أشياء عن أساطير لا أتذكرها لكنها مرعبة، حتى إن والدتي كانت

تنهره على أنه يحكي لي أشياء لا تناسب سني الصغير، وأتذكر أيضًا غرفته التي كانت تحتل حوائطها مكتبة جدارية مليئة بكتب كثيرة جدًا، كنت أشاهد مظهرها وأنبهر بها، وكثيرًا ما كنت أسمع من جدتي أو أبي أن خالي هذا يمتلك عقلية عبقرية وأنه قد ثقف نفسه بنفسه ودرس الكثير والكثير من كتب التاريخ والأساطير و.. والسحر. وأعتقد أن هذا هو السبب الرئيسي لمشكلته مع العائلة.

ظلت حواس (يوسف) منتبهة لكلمات (أحمد) جيدًا، فأكمل هذا الأخير قائلاً:

- سمعت كلمات عن أنه كان يجري تجاربًا أو يجري اختبارات من كتبه لا أتذكرها، لكنني عندما أتكلم مع أحد من العائلة عن الليلة التي حدثت فيها تلك الحادثة يتلاشى الحديث في تلك النقطة.

- أي حادثة؟

- عندما كنت صغيرًا وفي ليلة من الليالي سمع الجميع جلبة في الشقة فخرجنا من غرفنا لنجد أن أثاث الشقة يتحرك للأعلى ويهتز كأن أحدًا ما يحركه، وكانت غرفة خالي مغلقة ولكن يخرج من ثقب المفتاح ومن أسفل عتبة الباب نور غريب مشع، هذا كل ما رأيته ولا أتذكر الباقي، ومن هذا اليوم غادر خالي الشقة وانفصل عن العائلة.

- إذن فنحن ذاهبون لدجال!

- أعصابي.. أولاً: لا تنسَ أنك تتكلم عن خالي أيها الجلنبور، ثانيًا: قلت لك إنه دارس للتاريخ واللغات القديمة، فلا أعتقد أنه يعمل بمجال السحر.

- هل تعتقد أنه أصبح نصابًا؟!

- اخرس ولا تتكلم بكلمة كي لا أضطر إلى قتلك حتى أستريح من لسانك!

وقف (يوسف) و(أحمد) أمام العمارة التي وصفها له خاله في الهاتف بأحد الشوارع المتفرعة من شارع الهرم.

عمارة بسيطة المظهر تتكون من خمسة طوابق، وفي كل طابق تطل شرفة كبيرة تحتل دورًا كاملاً، صعد الشابان حتى وصلا إلى الشقة التي تحتل الطابق الثالث، ثم ضغط (أحمد) على جرس الباب لينفتح الباب ويظهر خلفه رجل في الثلاثين من عمره يرتدي قميصًا قد شمر أكمامه وسروالاً من الجينز، ويمتلك جسدًا رياضيًا وذو وسامة واضحة.

بمجرد أن ظهر الرجل من خلف الباب حتى نظر للشابين ثم توقفت عيناه عند (أحمد)، وظل يتمعن فيه للحظات ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة بادله إياها (أحمد).

تقدم الرجل ليأخذ (أحمد) ويضمه لصدره وهو يقول:

- كبرت وصرت ترتدي نظارة أيها المنحوس!

- وأنت ازددت قوة ووسامة بعد كل تلك السنوات، هل اكتشفت إكسير الحياة؟

دخل الشابان للشقة بعد أن دعاهما (عماد).

وانبهر الشابان بالشقة من الداخل، فبالرغم من أن العمارة من الخارج بسيطة المظهر إلا أن الشقة من الداخل كانت قمة في الإبداع، أثاث موزع بيد لا تخرج إلا عن يد مهندس ديكور، ولوحات موزعة بطرق تدل على ذوق عال.

تتكون الشقة من صالة فسيحة تتراص بها بعض التحف واللوحات، مع شكل مدفأة كديكور يعطي الصالة مظهرًا شديد الأناقة.

كان الاستقبال شديد الحفاوة، ودار الحوار بين (أحمد) و(عماد) عن العائلة وأخبارها وأخبار فلان وأخبار علان.

وبعد دقائق ذهب (عماد) للمطبخ، فنظر (يوسف) إلى (أحمد) وقال له:

- ألم أقل لك إنه أصبح نصابًا، ما كل تلك الأناقة؟ هل خالك يمتلك مولاً تجاريًا؟

- لا يا سليط اللسان، خالي ورث عن جدي الكثير.

خرج (عماد) من المطبخ وهو يحمل صينية عليها كوبان من العصير وقطعتا (جاتو) على طبقين فضيين، فأخذاها منه شاكرين، ثم بدأ جزء من الحوار يدور حول حياة (عماد) بعد أن ترك المترل:

- بعد تلك الليلة ذهبت لأبحث عن شقة لأقيم فيها، بالطبع ميراثي كان هو عوني في تلك الأيام، ظللت أبحث حتى وجدت تلك الشقة، فقمت بتأجيرها ووضعت باقي النقود التي ورثتها في شكل

وديعة بنكية تدر عليّ أرباحًا جيدة كل عدة أشهر تكفيني لمعيشة رغدة، ولكن لكي أضمن حياتي ومستقبلي قمت بافتتاح مكتب للمحاماة، فزاد دخلي والحمد لله، وظللت كما أنا أدرس أي نوع يستهويني من العلوم واللغات.. وأنت ما أخبارك؟

فرد أحمد قائلاً:

- أنا الآن أدرس بكلية التجارة، نسيت أن أعرفك بصديقي (يوسف)، طالب بكلية الحقوق.

- أهلاً يا (يوسف).

- أهلاً بك.

- أنا أعلم يا خالي أن لك اهتمامات كبيرة بتاريخ الأمم القديمة وأساطيرها، والحقيقة أننا وقعنا في مشكلة غريبة بعض الشيء.

- وما هي؟!

أخرج (يوسف) من جيب معطفه مجموعة وريقات مطوية بعناية ثم فردها لتظهر بوضوح لعين (أحمد)، كان الورق ورقًا عاديًا مطبوعًا، ففهم أن (يوسف) قد طبعه عن طريق الكومبيوتر.

أعطى (يوسف) الأوراق لـ (عماد) الذي أخذه ثم بدأ يقرأه بهدوء.

ظل (يوسف) محدقًا بوجه (عماد) وهو يقرأ الأوراق، لم تتبدل ملامحه أثناء القراءة نهائيًا، حتى إن (يوسف) اندهش من قدرته على إخفاء أي تعبيرات خلف ملامح وجهه الجامدة.

لقد كان (عماد) والحق يقال يقرأ بسرعة شديدة، حتى انتهى من قراءة الأوراق ثم نظر إلى (أحمد) و(يوسف)، وقال بابتسامة:

– ممممممممممممممم.. هذه هي مخطوطة مدينة الموتى للشيخ ابن إسحاق، كيف وصلت إليك تلك المخطوطة؟

!!!

***

قال (يوسف) وهو لم يتخلص بعد من ملامح الدهشة:

– هل تعرف تلك المخطوطة؟!

ابتسم (عماد) وقال:

– قرأت عنها في بعض كتبي منذ سنوات، إن الذي أقبض عليه بين أصابعي الآن هو صورة مسح ضوئي لمخطوطة قديمة، فمن أين حصلت على تلك الصورة؟

نظر (يوسف) و(أحمد) لبعضهما، ثم بدأ (يوسف) يروي قصة عثوره على المخطوطة في سور الأزبكية، والمعلومات التي جمعها من على شبكة الإنترنت، ثم لقائه بأصدقائه، وبالطبع حذف موضوع الرجل الميت الذي باعه المخطوطة.

عندما انتهى (يوسف) من الكلام أشار (عماد) لهما أن يتبعاه لإحدى الغرف في شقته، وأثناء اتجاههم قال (أحمد):

– هل تدرس السحر يا خالي؟

توقف (عماد) للحظة وارتسمت على شفتيه شبح ابتسامة، ثم أكمل السير وهو يقول:

- أنا أعلم أن ذكرى تلك الليلة مازالت في عقلك وأنك تريد أن تعرف ماذا كنت أفعل خلالها، ولكني لكي أريح قلبك سأطلعك على المجالات التي حاولت الدراسة بها.

كان (عماد) قد فتح في تلك اللحظة إحدى الغرف وأضاء مصباحها، فتبعه (يوسف) و(أحمد) إلى الداخل ليفاجآ بشكل الغرفة من الداخل.

الأرضية مفروشة بسجاد فاخر، لا يعلما هل هو من نوع السجاد العجمي الذي يسمعان عنه أم أنه نوع آخر، في آخر الغرفة مكتب أنيق أمامه مقعدان، والمكتب نفسه مليء بزخارف كثيرة، والجالس خلف المكتب يمكنه أن يُعدل وضع المقعد ليتجه ناحية اليسار قليلاً لكي يكون مواجهًا للكمبيوتر الذي يحتل الركن الأيسر من المكتب.

هناك لوحة كبيرة نسبيًا معلقة خلف الجالس على المكتب تُمثل جماجم بشرية ذات قرون مختلطة بالدماء في خلفية من الظلال تضيف الكثير من القتامة على اللوحة.

هناك أيضًا (أنتريه) ومقعدان يحتلان جزءًا من الغرفة، تتناسق ألوانهما مع لون المكتب مع لون السجادة في أناقة شديدة.

أما الجدران فقد كانت مهيبة بالفعل، فعلى كل جدار هناك مكتبة ضخمة تحتل الجدار بكامله، وفي أحد الجدران يخرج من وسط الكتب جهاز تليفزيون وأسفله مشغل سي دي فيديو.

كمية كتب رهيبة تتراص في تنظيم شديد، وهناك ورقة مطبوعة على كل مجموعة من الأرفف تبين نوعية الكتب التي تحتلها تلك الأرفف.

بدأ (يوسف) يحرك عينيه ليقرأ العبارات التي كُتبت على كل ورقة:

(فيزياء - مباحث الوجود - تاريخ إسلامي - مقارنة أديان- تاريخ هلينستي - رياضيات - سحر - علم نفس - كيمياء - فقه - سيرة - مصريات.... إلخ إلخ) هذه هي بعض العبارات التي كُتبت بالعربية، لأن هناك عبارات كُتبت بالإنجليزية والفرنسية ولغات أخرى لم يفهم (يوسف) كيف يقرأها.

كان مظهر الغرفة يُجبر عينيك على أن تتفحصها شبرًا شبرًا بلا أي ملل.

هنا توجه عماد إلى بعض الأرفف العربية والأجنبية وظل يبحث بإصبعه عن شيء ما بين الكتب، وهو يقول:

- عندما كنت طفلاً كنت أمتلك القدرة على القراءة مبكرًا جدًا، وعند وصولي للثالثة عشرة من عمري استهواني كل شيء غريب وكل حكاية أو أسطورة مرعبة، فكنت أشتري بمصروفي- بعد

تجميعه كل شهر - كتبًا تتحدث عن الأشياء الغريبة، وكنت أشتري تلك الكتب من على الرصيف لقلة ثمنها، واصطدمت في ذلك الوقت بكتاب عن السحر وتحضير الجان، وبدأت في محاولة تحليل العبارات والكلمات غير المفهومة التي يتم بها استدعاء الأرواح في ذلك الكتاب، فخطر في عقلي في ذلك الوقت أنه ربما كانت هناك كتب بلغات أخرى تُوصلني إلى تحليل تلك العبارات، وقررت أن أتعلم الإنجليزية لكي تزيد قدرتي على قراءة كتب باللغة الإنجليزية.

وعندما طلبت من والدي رحمه الله أن يلحقني بأحد مراكز تعلم اللغة الإنجليزية وافق على الفور وشجعني على ذلك، وأظهرت تفوقًا غير عادي، كنت أتردد على بعض المكتبات العامة التي تحتوي على كتب بالإنجليزية وفي يدي القاموس لكي أصقل موهبتي فيها، وفي سن الرابعة عشرة كنت أقرأ وأتحدث الإنجليزية بطريقة جيدة جدًا، فأحسست أنني أريد المزيد، فالتحقت بقسم تعليم اللغة الفرنسية التي أحببتها وأتقنت القراءة بها في مدة لا تزيد عن عام ونصف.

وهنا زاد هوسي باللغات والقراءة في الكتب باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية، فقررت زيادة حصيلتي فدرست اللغة الألمانية والإيطالية، وكنت عضوًا دائمًا في أكثر من ملحق ثقافي في أكثر من سفارة، وبالطبع بسبب انشغالي التام بدراسة اللغات والقراءة بها لم أحظَ بمجموع كبير في الثانوية العامة، فالتحقت بكلية الحقوق انتساب موجه، وكان هذا بالنسبة لي قمة المتعة لأنه حقق لي إمكانية عدم الحضور الدائم والتفرغ لدراساتي الأخرى.

من هنا بدأت بالتردد على جميع مكتبات الجامعات المصرية والقراءة في كل المجالات التي لا تتخيلها، من كيمياء إلى فيزياء إلى مقارنة أديان، وكنت أفرغ جميع المعلومات التي أحتاجها في هيئة أبحاث على ورق أحتفظ بها لحين احتياجي إليها.

وفي السنة الثالثة من كلية الحقوق كنت أتقن التحدث والقراءة بالإنجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية والإيطالية والعبرية، وأجيد القراءة بالأوردية والروسية واللاتينية والسريانية، وتحليل جيد للرموز الهيروغليفية والقبطية.

ساعدني على ذلك أن والدي رحمه الله لم يبخل عليّ قط بالمال لكي أدرس ما أشاء، بالرغم من اعتقاده أنني أدرس اللغة الإنجليزية والفرنسية فقط، المهم كنت أبحث في كل وقت عن جوهرة بين الرمال تجعلني متميزًا عن الجميع، هذا ما كنت أبحث عنه.

وهنا تذكرت السبب الذي جعلني أبدأ بدراسة كل تلك اللغات والعلوم الأخرى، تذكرت كتاب السحر الذي لم أستطع فك رموزه عندما كنت صغيرًا، فقررت أن أركز جل مجهودي على دراسة كل ما يتعلق بالسحر والجان والأرواح، وبدأت بتتبع كل ما كُتب عن الخوارق في كل اللغات وفي جميع المكتبات العامة والخاصة.

فوجدت نفسي في خلال عامين أصل إلى حقائق غريبة حول تلك الأشياء الغريبة، وبدأت في تحليل كل ما وقع تحت يدي لأميز جيدًا بين ما هو أسطوري وما هو حقيقي، وبدأت بالتجارب، إلى أن جاء هذا اليوم الذي حدثت فيه تلك الحادثة بمنزلكم يا (أحمد)، وفضلت

الابتعاد عنكم لكي لا أضركم بأبحاثي، وللمعاملة التي تعرضت لها من العائلة بسبب ما حدث.

كانت آخر عبارة قالها (عماد) وهو يمسك بين يديه مجموعة من الكتب، ثلاثة كتب باللغة العربية وكتاب بالفرنسية.

وضعها كلها على مكتبه، ثم دعا (يوسف) و(أحمد) للجلوس على المقعدين أمام المكتب، وجلس هو خلفه قائلاً:

- بالنسبة لموضوع المخطوطة هذا فهو موضوع شائك جدًا، وأنا لا أعلم عنه إلا القليل جدًا، وذلك لأنه لم يُكتب عنه إلا القليل جدًا جدًا.. فهناك رجل فرنسي يدعى (ميشيل أماديوس)، وهو أحد علماء الآثار الفرنسيين الذين تواجدوا في مصر في الفترة من 1822 إلى 1835، حيث كان على رأس إحدى البعثات التي استقطبها (محمد علي باشا) إلى مصر عندما أراد أن يحسن كفاءة الموظفين المصريين، وكان (ميشيل) مرافقًا للبعثة التي حضرت إلى مصر بناء على أوامر من الحكومة الفرنسية لدراسة بعض الأشياء التي طُلبت منه في فرنسا بدون علم (محمد علي)، وقد عادت البعثة ولكن (ميشيل أماديوس) قرر البقاء فترة أطول، فظل عشرة أعوام يعيش في مصر بعد رحيل أفراد بعثته.

ثم بعد عودته كتب تقريرًا عن الأشياء التي درسها بأوامر الحكومة الفرنسية، ثم دوّن كتابه الذي وصف فيه حياته في مصر وكيفية تنقله بين البلدان في صعيد مصر لدراسة المعابد الفرعونية، كنت أقرأ هذا

الكتاب لاحتوائه على تحليل قيم لبعض العادات القديمة في جنوب مصر مع وصف رائع لكثير من المعابد المصرية ولكن...

فتح (عماد) الكتاب المكتوب بالفرنسية وظل يُقلّب صفحاته قرابة ثلاث دقائق حتى وقف عند صفحة بعينها، وبدأ يجري بعينيه على كلماها ويترجمها بسهولة:

– يقول (ميشيل) في تلك الصفحة إنه كان له أصدقاء من الجنوب يجلس معهم ليلاً ليتسامروا ويتحدثوا في بعض الأمور، وفي إحدى الليالي قال صديق له ويدعى (حسن) أنه يحتفظ بشيء قيم جدًا أمنه إياه رجل مصري كي يحفظه في مترله، وعندما استفسر (ميشيل) عن تلك الأمانة قال له (حسن) إنها مجموعة خيشية مدبوغة عليها قصة لأحد الرجال، وأحضر (حسن) تلك المجموعة وقرأها على (ميشيل)، الذي يحكي ويقول (لا أتذكر جيدًا الكلمات التي كُتبت على تلك المجموعة الخيشية ولكني أتذكر أنها تخص رجل يدعى (أحمد بن إسحاق)، يبدو أنه قد ذهب من الصعيد إلى القاهرة ولكنه قابل قرية مصرية في رحلته لم يجد فيها من أحياء، وقابل روح رجل مات منذ سنوات أخبرته بأسرار استدعاء الأرواح لتحكم العالم، وأعطته أوراقًا كُتب عليها طريقة ونص الاستدعاء، وقد حاولت أن أقنع (حسن) بأن يعطيني تلك المجموعة ولكنه أبى حتى أن أنقل نصها لأدرسه، وقد قال لي إنها أمانة من رجل أعطاها له لن يقدر على خيانتها)، هذا هو ما كتبه (ميشيل) في تلك القطعة من صفحة 238 من كتابه.

ثم نظر (عماد) إلى (يوسف) وقال:ه

– لا أخفي عليك أنني قد قرأت تلك الكلمات، وقد علمت أن هناك جزءا صحيحًا في كلمات الرجل، وهناك جزء قد جاء من ثقافته، وخصوصًا في موضوع الأرواح والسيطرة على العالم، لأن تلك المعتقدات من الاستحالة أن توجد في العقل الإسلامي في ذلك الوقت، ولكنني أردت التأكد فعلمت أن هناك عالما عربيًا لم يهتم به التاريخ كثيرًا لضياع كتبه تقريبًا بالكامل، وهذا العالم يُدعى (أحمد بن إسحاق البغدادي)، وانتهى بحثي عند هذا الحد، وقد قاربت على نسيان هذا الموضوع نهائيًا، حتى صادفني كتاب للكاتب (أحمد مجدي عبد اللطيف) اسمه (الأساطير بين العقل العربي والغربي) طُبع في عام 1993، وهو كتاب جميل وشيق يتحدث عن أساطير العرب القديمة كالغول والجن، والأساطير الغربية كالأساطير اليونانية، وتأثير تلك الأساطير على معتقدات الشعوب وعقولها في العصر الحديث، وفي إحدى فصول الكتاب خصص ثلاث صفحات يتكلم فيها عن الرحالة (أحمد بن إسحاق البغدادي) وحياته وحكايته مع مدينة الموتى التي قابلها في رحلته إلى القاهرة من صعيد مصر، وكيف أنه أبلغ الحكومة المصرية ولكن الحكومة نفت كل شيء عن وجود قرية في المنطقة التي حددها (ابن إسحاق) لهم.. وكانت نهاية ابن إسحاق هي اختفاؤه وحرق كتبه، وقد ذكر الكاتب في الكتاب عن تلك الأسطورة أن هناك حلقة مفقودة في تلك الأسطورة لم يقدر على تحديدها، لأن العقل العربي قديمًا لم يقدر على اختلاق أساطير تقوم على وجود أموات يتحدثون أو يقومون بعمل أي شيء في الحياة المادية، ولكن وجود شخصية ابن إسحاق حقيقة وكتابه الذي تحدث فيه عن المدينة الغريبة حقيقي، لكن هل تناقل الناس تلك الحكاية

وحرفوها لتصلنا بهذا الشكل؟! وعند قراءتي لذلك الكتاب قررت أن أبحث بجدية أكثر عن تلك الحكاية، وكنت محظوظًا لأن مؤلف الكتاب كان قد كتب المراجع التي أخذ منها هذه الأساطير، فرجعت إلى المراجع العربية وكانت ستة مراجع، فوجدت ضالتي في مرجعين منها.

أعطى (عماد) الكتاب الذي يتحدث عنه إلى (أحمد) و(يوسف) ليتصفحاه، ثم امسك بالكتابين الآخرين وقال:

- المرجع الأول هو كتاب (صف الرواة وأحاديثهم) لعبد الله بن جندب بن نافع، وقد حققه الباحث العربي (د. كرم محمد القحطاني)، ووجدت في هذا الكتاب الذي يتعدى الـ 500 صفحة ذكرًا في أحد الأبواب عن أخبار (ابن إسحاق) مأخوذة من مجموعة من الرواة، ويقول المؤلف أن (ابن إسحاق) كان له الكثير من التلاميذ، وخاصة في فترة إقامته بمصر، حيث كانت له حلقة علم بالجامع الأزهر وله تلاميذه، ولكن بعد أن انتشر كتابه بين تلاميذه من خلال تلميذه المقرب (عبد الرحمن بن إبراهيم) الناسخ المشهور لكتابي (ابن إسحاق)؛ تم اتهامه بالزندقة، وهي تهمة مفزعة في العقل الجمعي الإسلامي، فهي تدل على أكثر من صفة تصل إلى وصف الشخص بادعاء الإسلام بينما هو كافر في داخله ويحاول أن يُفسد في الأرض، وبدأ الأمر بإحراق كتبه ثم اختفى ابن إسحاق تمامًا، وظل تلميذه (عبد الرحمن بن إبراهيم) الذي قيل أنه سجل مقتطفات هامة من كتب شيخه (ابن إسحاق)، لم يبقَ منها سوى مجموعات قليلة لم يتم وصول أخبار لنا عنها إلا من خلال رجل من الصعيد قال بأنه رأى

مخطوطة تحكي عن مدينة كل من بها أموات منذ سنوات طويلة، وأن المخطوطة مع رجل من أهل الجنوب يحفظها في منزله كأمانة يتوارثها هو وأهله حتى يأتي الرجل الذي ائتمنه عليها، أما (عبد الرحمن بن إبراهيم) فقد اختفى تمامًا بلا أثر، وقيل إنهم وجدوا جثته بعد سنوات وقيل إنه لم يُعثر له على قبر حتى الآن.

وذكر أيضًا عبد الله في كتابه بعض الروايات التي رُويت عن المخطوطة التي يُخبئها الرجل الجنوبي، فمنها رواية تقول إن (ابن إسحاق) قد دخل مدينة للجن وقابل أحد أفرادها، ورواية أخرى تقول إن (ابن إسحاق) دخل القرية المصرية التي تُدعى (أولاد العشاب) والتي اختفت منذ سنوات في القرن السابع عشر ومات أهلها إثر وباء.

وهناك راوٍ قال بأن هناك رجلاً حكى له أن هناك ساحرًا فارسيًا قد حضر لمصر واختار أربعة مصريين ليقوم بعهد مع الجن كي يجعلهم أغنياء، وعند دخول (ابن إسحاق) للمدينة قابله أحد الرجال الذين ماتوا وأهداه الطريقة التي يستدعي بها الجن ليجعله هو أيضًا من الأغنياء.

أعتقد أن (يوسف) و(أحمد) قد سال لعابهما من الكلمات التي يتلفظ بها (عماد)، الذي سكت قليلاً ليبتلع ريقه، ثم أخذ بعدها كتابًا من أمامه وقال:

– وأخيرًا هذا الكتاب الذي يُعتبر بحثًا لنيل درجة الدكتوراه عن الأساطير، ولكن هذا الكتاب ذكر فيه الباحث شيئًا شديد الغرابة.

- ما هو؟!!

- لقد افترض صاحب هذا البحث وجود تلك المدينة فعلاً واستعان ببعض الخرائط في مجموعة من الحقب التاريخية قبل القرن الثامن عشر بمصر، وقد قارن بين تلك الخرائط وبين الخرائط الحديثة، وبدأ بتوقع مكان القرية القديم، برغم صعوبة تحديد أماكن القرى المصرية قبل القرن الثامن عشر، وخصوصًا لأن تلك الفترة كانت مليئة بالثورات، كثورة محمد أبو الذهب والصراعات الداخلية بين الولاة والسلطان العثماني، كما ترى يا (يوسف) أن هذا الباحث قد أخذ تلك الأسطورة على محمل الجد وبحث وقرر أن هناك مدينة بالفعل في هذا المكان، وهناك احتمال حقيقي لفناء تلك المدينة أو القرية بسبب انتشار سريع لوباء (يعتقد الباحث أنه الكوليرا)، وتم إهمال القرية من الحكومة المصرية خوفًا من الوباء، حتى زارها (ابن إسحاق) وحكى عنها في كتابه، ثم نقلها (عبد الرحمن بن إبراهيم) في أوراقه بكنية مدينة الموتى، حتى انقطعت أخباره وانقطعت معه أخبار المخطوطة التي كتبها.

***

- إذن هذه المخطوطة حقيقية؟

قالها (أحمد) وهو ينظر إلى خاله مستفسرًا، فرد (عماد) قائلاً:

- نعم، ولكن ربما كانت نصًا مزورًا، سأحكم عليها عندما أرى المخطوطة الحقيقية.

- انتظر! هل تعتقد من قراءتك لها أنها مزيفة؟

فكر (عماد) مليًا وهو مطرق الرأس، ثم نظر إلى عيني (يوسف) وقال:

- بل أعتقد أنها حقيقية مائة بالمائة.

أخذ (عماد) الورق مرة أخرى من (يوسف)، ثم فضه وبدأ بالكلام:

- هناك شيء يحيرني في تلك الكلمات، فهي تحتوي على بعض أسماء ملوك الجان بالنطق السرياني، كما أن..

- ما هي تلك اللغة السريانية؟

- هي لغة قديمة تُعرف باللغة السامية نسبة لسام بن نوح، وتعتبر تلك اللغة من أهم اللغات التي يجب تعلمها من جانب أي باحث، فهناك مخطوطات كثيرة وصلت إلينا وهي مكتوبة باللغة السريانية، فعندك مثلاً النبي دانيال الذي كتب بهذه اللغة الكثير من نبوءاته، وكان قد تعلمها أثناء وجوده كأسير في بابل، وكانت تلك هي اللغة الدارجة في أورشليم في زمن (عيسى) عليه السلام، وظلت موجودة بعده لأكثر من سبعة قرون.

ويبلغ عدد حروفها اثنين وعشرين حرفًا، كلها ساكنة ليس بها حروف علة كلغتنا العربية.

ثم أكمل (عماد) حديثه قائلاً:

- تلك الأسماء هي نطق لأسماء بعض ملوك الجان بعضها سرياني والآخر نطق عربي، ولا أعلم سبب الاختلاف، هناك كلمات أعتقد

أنني لا أفهمها ولكني افهم أن لاجتماع حروفها شيء يثير الرهبة في نفسي، فهو ليس اجتماعًا عشوائيًا للحروف.

الكلمات العربية تُشير لأكثر من شيء لا يمكنني تحديدها. يمكنك أن تتركني مع ذلك الورق لأستعين ببعض المراجع ربما توصلت لشيء هام، ولنظل على اتصال ببعضنا البعض.

هنا قال (أحمد) لخاله وهو يبتسم:

– إذن فأنت تخبرنا بكياسة أن الزيارة قد انتهت.

هب (عماد) من مقعده غاضبًا وهو يلوح في وجه (أحمد) أن ما يقوله ليس صحيحًا، وأن تلك الكلمات لا يجب أن تُقال، فضحك (أحمد) وهو يخبر خاله أنه يمزح معه لا أكثر.

– أستاذ (عماد)، قلت أنك قرأت كثيرًا عن السحر، فهل هو موجود في رأيك؟!

نظر (عماد) إلى (يوسف) ثم قال:

– السحر موجود فعلاً، ولن آتي أنا لأقول لك إنه خرافة، فلو كان كذلك لما كان له هذا التاريخ الطويل منذ آلاف السنين، وبالرغم من تعدد البلاد التي مورس فيها السحر إلا أن هناك مبادئ واحدة تجمعها كلها.

– كيف؟

– تشكل الثقافات مفهوم الشخص الذي يعيش داخل بيئته، فإذا أتيت بأعرابي وجعلته يصف لك كائنًا أسطوريًا من مخيلته لوصف لك

وحشًا كبيرًا غير محدد الملامح يمكنه أن يأكل لحم البشر، وإذا أتيت برجل أوربي لوصف لك وحشًا ضخمًا كبيرًا ذا أنياب يأكل أيضًا لحم البشر التائهين، إذن هناك أشياء مشتركة في الثقافات وموحدة مع اختلاف وصفها بين حضارة وأخرى، فترى حضارة تصف الساحر بأنه يقوم بعمل عقد مع الشيطان وترى الثقافة العربية تقول إن الساحر يقوم بعمل عهد مع الجن، وثقافة أخرى تقول لك إن الوسيط يستعين بالأرواح لخدمته، ألا تلاحظ تشابه الفكر في كل ما سبق، إذن هناك نواة تراها مع كل الثقافات ولكن تختلف من بيئة لأخرى.

- وكيف كان السحر قديمًا؟!

- لا أعرف، لكن عندما يذكر أحدهم كلمة السحر يتبادر إلى ذهنك مشهد امرأة شمطاء تطير في الهواء على مكنسة وترتدي قبعة مضحكة، وتلك صورة سخيفة بالطبع، فقديمًا كانت محاكم التفتيش تستعين بكتاب (مطرقة الساحرات) كي يحاكموا أي ساحر ويقضوا عليه.

- تفتيش؟ مطرقة؟

- كتاب (مطرقة الساحرات) أو (ماليوس ميلفيكاروم) كُتب باللاتينية، وقد كُتب على يد اثنين من رهبان الدومنيكان، وتم نشره في القرون الوسطى من قبل الكنيسة الكاثوليكية، وهو يتكون من ثلاثة أجزاء رئيسية:

الجزء الأول يُعالج ويوضح التعامل مع حدوث السحر من خلال الثلاثية المعروفة (الساحر والشيطان ومشيئة الرب).

الجزء الثاني يوضح بالتفصيل كيف يقوم الساحر بكتابة السحر وعمله وشروطه وكيفية إبطاله ومواجهته.

الجزء الثالث في رأيي أشنع جزء ممكن، حيث تحث فيه الكنيسة المسيحي المؤمنعلى تقديم كل من يُشتبه به في ممارسة السحر إلى محاكم التفتيش بدون أي دليل مادي، وهذا الجزء الأخير كان سببًا رهيبًا من أسباب حرق آلاف الضحايا الأبرياء لمجرد الاشتباه فقط بلا دليل.

أما عن محاكم التفتيش؛ فقد تم إنشاؤها في أوائل القرن الثالث عشر رسميًا عن طريق البابا (جرينوار)، ومهمتها محاربة (الهرطقة)، أي من يخرج عن التقاليد المسيحية بأي شكل من الأشكال، وقد أعدمت تلك المحاكم الكثيرين من الفلاسفة والكتاب والعلماء بتهمة الهرطقة، وكانت لهم أساليب لا أعتقد أنك ستُسر بسماعها، فيكفي أن أقول لك إنهم كانوا بعد أن يتهموا أي شخص بالهرطقة يفرضون عليه أن يعترف بذنبه بلا مناقشة ويتوب، وإذا عارض فإنهم يربطونه إلى عمود ثم يُشعلون النار في جسده، وحتى عندما يعلن توبته فإنهم يشكون بها، ويبدأون في تعذيبه بطرق وحشية، ليس قلع العيون وكسر العظام بأكبرها، حتى يثقوا أنه قد تم تطهيره، وفي الغالب يُحرق في النهاية. أما بالنسبة للساحرات فإنهم تسببوا في قتل مئات الآلاف من النساء البريئات لمجرد بلاغات غير مقرنة بدلائل على أنهن يمارسن السحر، فكما قلنا إن الكنيسة الكاثوليكية كانت تحث المواطن المسيحي على الإبلاغ عن أي شخص يُشتبه في ممارسته للسحر، أو لأي شيء مشابه له، وبدأت المذابح على يد محاكم التفتيش بسبب تلك البلاغات.

نظر (أحمد) لخاله بانبهار وهو يقول:

- يبدو أنك تمتلك الكثير من المعلومات، ولكن مازلت أريد معرفة ما هي التجارب التي كنت تقوم بها ذلك اليوم في شقتنا؟ ولماذا لا تريد الإفصاح عنها حتى الآن؟

أراح (عماد) ظهره قليلاً للخلف، ثم قال بابتسامة صفراء:

- يبدو أنني ساضطر أن أخبرك بجزء من الحقيقة.

ثم قام من مقعده وبدأ يسير في الغرفة وهو يقول مفكرًا:

- هل يمكنك رؤية الجن والشياطين؟ لا بالطبع، لماذا؟ هل هذا لطبيعة في جسد الجني أو الشيطان نفسه أم طبيعة في عينيك أنت؟ ذلك الموضوع اصطدمت به أكثر من مرة قديمًا في قراءاتي، حيث تجد في السحر الأوروبي أنك لا يمكنك أن ترى الجن أو الشيطان على صورته الطبيعية، بل يجب أن يتمثل في صورة شخص كي تراه ويحدثك، ونفس الأمر في التراث العربي، فالجن لا يمكنك رؤيته أبدًا إلا إذا تمثل لك في صورة حيوان أو شخص، عندها يمكنك التعامل معه بل وقتله، لأنه يكتسب الصفات البشرية بمجرد تمثله.. ولكني ظللت أفكر أن الجن يفعل شيئًا ما لكي يمكنني رؤيته، ولكن لم لا أفعل أنا شيئاً بدوري كي أراه على طبيعته هو؟

- !!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

- ما هو العضو المسئول عن الرؤية في الجسد؟! العين بالتأكيد، فالعين هي مجرد آلة لنقل الصور إلى داخل مركز الإبصار في المخ من

خلال العصب البصري، إذن العين هي ناقلة للإشارات فقط، وتتم ترجمة تلك الإشارات في المخ على هيئة صور بصرية.. ظللت أفكر: إذا كانت العين تلتقط الإشارات العادية وتُظهرها في هيئة صور في المخ عند ترجمتها في مركز الإبصار، فربما كان المخ لا يُترجم بعض الإشارات التي لا يقدر على ترجمتها، فسرعة طلقة الرصاصة يترجمها المخ على أنها لهب يُضيء لجزء من الثانية ويختفي، بالرغم من أن الرصاصة تمر من أمام العين، ثم تقوم هي بنقل المشهد إلى إشارات، فيترجمها المخ على هيئة وميض، وفي بعض الحالات لا يمكن ترجمة الإشارات نهائيًا، ولا يصبح لها مردود فعلي في المخ، فيتم إهمالها.

كان تفكيري يجعلني دائمًا أتساءل هل الحيوانات ترى الموجودات مثل البشر، أم يختلف منظور الحيوان عن منظور الطائر عن منظور الحشرة عن منظور البشر؟!

بالفعل هناك اختلاف، ولكن هل هذا يرجع إلى اختلاف هذا الشيء وعدم ثباته؟ أم إلى اختلاف قدرتنا نحن؟! لماذا الذين يصابون بطول نظر أو قصر نظر أو عدم التمييز بين الألوان يرون الأشياء بطريقة غير التي يراها الشخص العادي؟! إذن فهناك حقيقة واحدة للأشياء ولكن كل منا يراها بمنظور مختلف، ولذلك لا نقدر على رؤية الجن والعفاريت، ولكن هم يقدرون على رؤيتنا، وقد كانت تلك حكمة الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في قوله:

(إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ) الأعراف: 27

إذن فقد انتفت تلك القدرة في الإنس ولكن الجن يمكنه رؤيتنا.. فماذا لو أمكنني أن أرى الجن!!!

– ترى الجن؟

– نعم، لم لا؟ فإنك ترى في مجمل الكتب التي تكلمت عن السحر طرقًا كثيرة لاكتساب قدرة على رؤية الجن، سواء رؤية لحظية أو لأيام أو لسنوات، كنت مجنوناً في صغري، فبدأت بعمل مقارنات بين كل تلك الطرق وحصرها واستبعاد الطرق الخيالية منها، وفي النهاية تطبيق الطرق التي يُعتقد أنها صحيحة لمحاولة جعل المخ يُترجم الإشارات التي تصله ولا يترجمها.

– وهل نجحت ورأيت الجن؟!!

قالها (يوسف) بلهفة شديدة فرد (عماد) وهو يعود لمقعده:

– لك أن تخمن!

– إذن قد رأيتهم!

– ربما أراهم، ربما أشعر بهم، ربما أراهم في أوقات ثوراتهم، ربما أرى أجزاء منهم، يمكنك التخمين يا (يوسف)، ربما ستعرف قريبًا.

– ؟!!!!!!!!!!!!!!!!!!

ظل (يوسف) ينظر لعينيّ (عماد) طويلاً، حتى قال (أحمد):

– إذن متى تنتهي من بحثك وراء تلك المخطوطة؟

- لا أعلم، ربما يومان أو ثلاثة، ولكنني لن أبحث وراءها كثيرًا، فأنا أبحث عن الكلمات ومعانيها وما الغرض منها..

قام (أحمد) و(يوسف) من مجلسيهما وهما يعتذران لـ (عماد) لأنهما تأخرا عن ميعاد هام، بالرغم من أن (عماد) ظل يحلف بالطلاق على أنهما سيتناولان الغداء معه، ولكنهما أصرا على الرفض. عندما كان يوصلهما إلى باب الشقة توقفٍ وأخذ (أحمد) جانبًا، بينما أكمل (يوسف) طريقه نحو الباب دون أن يلاحظ تلك الوقفة.

قرب (عماد) فمه من أذن (أحمد) وهمس قائلاً:

- صديقك هذا يتبعه ثلاثة من الجن أينما ذهب، أنا لا أرى أشكالهم لسبب لا أعلمه، ولكنهم ثلاثة يسيرون معه كظله، حاول أن تكون حذرًا.

نظر (أحمد) لخاله وقد اتسعت حدقتا عينيه في فزع.

***

9

لقاء مع الشيخ

بعد أن انتهى لقاء (يوسف) و(أحمد) مع (عماد) انفصل الاثنان عن بعضهما على وعد باللقاء والمتابعة في هذا الموضوع.

وعند اقتراب (يوسف) من منزله سمع أذان العشاء، فعاد للمسجد القريب من المنزل لكي يصلي العشاء ثم يعود.

كانت صلاة العشاء قد انتهت في ذلك المسجد القريب من منزله، ونحن الآن نرى (يوسف) يتجه بعد الصلاة إلى (الإمام) ويجلس بجانبه، فنظر له (الإمام) مليًا وهو مبتسم، ثم قال:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أعتقد أنك (يوسف)؟ أليس كذلك؟

ابتسم (يوسف) لتبسط الشيخ وقال:

- بلى يا شيخ، كيف حالك؟!

- الحمد لله، وكيف حال دراستك وحال الحياة معك؟ تبدو مهمومًا أو كأن الإعياء قد استبد بك.

كان إمام المسجد شابًا في أوائل الثلاثينات، حسن الوجه والصوت، يُطلق لحيته، طويل القامة، وكان (يوسف) يرتاح للاستماع إلى دروسه، وإلى خطبة الجمعة التي يلقيها، كان شيخًا شابًا مرحًا إلى أقصى الحدود، فـ (يوسف) يشعر وهو يتكلم معه بالهدوء النفسي والاطمئنان.

لذلك لم يجد (يوسف) من يسأله عن أي سؤال يخطر بباله إلا هذا الشيخ.

- الحقيقة يا شيخ (محمد) لقد أردت أن أسألك سؤالاً حول مسألة الجن وتسخيرهم؟

- آه قضية الجن، تفضل يا (يوسف) اسأل.

- أولاً: هل يمكن تسخير الجن؟ لأني سمعت الكثيرين يقولون إن الجن موجود فعلاً ولكن لا يُسخر.

ثانيًا: هل الجن يمكن أن يؤذي الإنسان بالفعل؟

ثالثًا: هل يمكن لكلمات بسيطة أن تؤثر في الجن أو تُسخّره؟

ابتسم الشيخ بهدوء وقال:

- إنك تتحدث الآن في قضية شائكة بالنسبة لكثير من العلماء لأنها من الغيبيات، والتي يتجنب الكثيرون الخوض فيها حتى لا يُجدّفوا، ولكن قبل أن أحدثك عندي سؤال، هل أتيت من منزلك أم كنت في موعد في الخارج وأتيت إلى صلاة العشاء قبل أن تمر على المنزل؟

نظر (يوسف) إليه باندهاش وقال:

- لقد كنت في الخارج بالفعل ولم أذهب للمنزل بعد، بل جئت إلى المسجد لألحق صلاة العشاء.

- جميل جدًا، إذن نكمل الكلام في منزلي حتى يمكنني الاستفاضة في الحديث، ولأنني أدعوك على العشاء معي، ولا تحاول الرفض لأنك لن تجد مني مخرجًا.

ابتسم (يوسف) بإحراج وهو يقول

- اعذرني يا شيخ، سآتي لك في يوم آخر، ولكني اشكرك على دعوة العشاء.

- اسمع، ستأتي معي إلى المنزل لنتناول العشاء سويًا، وستأكل من يدي، لأني لست متزوجًا. ولا تخف، سيعجبك الطعام، ولكني أحذرك من الإسهال!

ضحك (يوسف) ثم بدأ في إبداء الأعذار، ولكن الشيخ كان مصرًا وهو يضحك، وظل يقنعه حتى وافق.

فذهبا معًا إلى منزل الشيخ.

***

كانت شقة الشيخ تقع على بعد شارعين من المسجد، وكانت فخمة بطريقة تُظهر أنه متيسر الحال، فعندما دخل (يوسف) إليها تنحنح قبل الدخول، فقال له الشيخ أنه يعيش وحيدًا منذ سنين، فليدخل ولا يخف.

كما قلت كانت شقة فاخرة وطريقة اختيار الأثاث تُظهر جانبًا من البساطة والذوق.

هناك بعض النباتات المنتشرة، إن من أثث هذه الشقة يجب أن يكون..

– مهندس ديكور، هذا هو تخصصي الأساسي.

كانت تلك العبارة من الشيخ، وكأنه قرأ أفكار (يوسف).

أعد الشيخ عشاءً يتكون من المكرونة وبعض صدور الدجاج، وبطاطس محمرة، لم يفت بالطبع على (يوسف) أن يميز خبرة الشيخ في إعداد الطعام، فبالرغم من أنه كان طعامًا بسيطًا سهل الإعداد، لكن الشيخ كان يتقن الطبخ والتقديم كما يبدو، وبعد أن انتهيا من الطعام وغسلا أيديهما؛ أعد الشيخ كوبين من الشاي الساخن، ثم بدأ في الكلام:

– موضوع الجن هذا كما قلت لك من المواضيع الشائكة التي يتجنب الكثيرين التدخل فيها لأنها من الغيبيات، لكننا نمتلك عنهم معلومات كثيرة في ديننا الحنيف، مثل القرآن والسنة النبوية المطهرة والتابعين والسلف الصالح، فمما سبق نستطيع تكوين خلفية عن عالم الجن لا بأس بها.

ولكن احذر من شيئين أولاً: أن تنسب كل فعل إلى الجن والعفاريت، وثانيًا: أن تنفي كل الأفعال عن الجن.

– لم أفهم النقطة الأخيرة؟

- أقصد أنه عندما يحدث لك أي مرض أو أي شيء غريب فلا تنسب ذلك للجن والعفاريت، ثم تهرع للدجالين والسحرة، أما النوع الثاني من الأشخاص فهم من ينكر وجودهم أصلاً أو ينكر أنهم قادرين على الإتيان بأفعال في عالم البشر، اجعل نفسك دائمًا في موقف وسط، فلا تنفِ كل شيء، ولا تنسب كل شيء.

- فهمتك يا شيخ، ولكن ماذا عن الأسئلة الثلاثة؟

- أعتقد أن السؤال الأول: هل يمكن تسخير الجان؟ وإجابته هي شيء بسيط جدًا، إذا ذهبت الآن إلى مدير إحدى الشركات، وظللت تتودد له بالهدايا والكلام الجميل، ثم بعد أيام من هذا التودد والتذلل طلبت منه أحد الأشخاص الذين يعملون في شركته لمساعدتك في بعض أمور متعلقة بمهنتك، سيعطيك مدير الشركة أحد عماله لكي يساعدك في أعمالك، لأنك مجدته وأظهرت قدرًا من العظمة له.. والآن إذا قصّر هذا العامل الذي أعطاه لك المدير في عمله معك ماذا ستفعل؟ هل ستعاقبه؟ أم ستذهب للمدير لتشكوه له ليعاقبه؟ بالطبع العامل لا يخاف منك، فهو قادر أن يتركك في أي لحظة، لكنه خائف من عقاب مديره الأصلي، أليس كذلك؟

إن لكل طائفة من الجن سيدًا، ولكل مجموعة طوائف عشيرة تجمعها، وهكذا وهكذا.. فإذا أراد الساحر أن يجعل له خُدّامًا من الجن، فإنه يظل يتودد إلى كبار الجن الكافر والفاسق بالكلام الذي يبجله ويعظمه عن ذات الله عز وجل، وبتقديم القرابين التي يُذكر عليها اسم ملك الجن أثناء ذبحها، والتي تُوقعك في دائرة الكفر، فيظل

التودد هكذا إلى أن يُرسل لك هذا الملك أو قائد العشيرة أحد خُدّامه، فيعرف طلباتك ويرسلها لملكه في ثوان، ويتم عمل معاهدة بينك وبينهم، وهذه المعاهدة إذا خالف فيها الإنسي أيًا من شروطها فإن العقاب في الغالب يكون سريعًا جدًا، فمثلاً أن يطلب منك أن تذكر اسم الملك كل ثلاثة أيام ألف مرة في الليلة، وفي مقابل ذلك يجعل لك خادمًا من الجن يساعدك في شئونك، وبهذا تكون أنت سخرت خادمًا أو خادمين يمكن أن يخدماك.

هذا غير أنه قديمًا كان المسافرون يستعينون بملوك الجان لحراسة قوافلهم أثناء رحلاقم، وكانوا يقسمون على ملوك الجان بحمايتهم.

بالطبع ما ذكرقما لك هي طريقة واحدة من طرق كثيرة جدًا في تسخير الجان واستدعائه، إذا أردت ذكرت لك ما أعرفه منها.

- أشكرك، فقد اقتنعت بإمكانية التسخير، وفهمت العلاقة بين الساحر والجن.

ويا ترى ما هي إجابة السؤال الثاني: هل يمكن أن يؤذي الجن الإنسان؟

ضحك الشيخ وقال:

آه، أنت تتكلم في نقطة هامة جدًا جدًا، فالجن يمكن أن يؤذي الإنسان بالفعل بأكثر من طريقة، مثل اللبس والمس والتأثير عن بعد، والكثير جدًا، ولكن الموضوع ليس مفتوحًا كما يعتقد البعض، فعندما مثلاً يُصاب أحد الأشخاص بالصرع أو أي مرض نفسي فإنه ينسبه

إلى الجن بلا شك، وهذا لا ينفي أن الجن يمكن أن يصيبك بالصرع ولكنه أيضًا لا يعني أن أي حالة من الصرع هي من فعل الجن.

فالجن عالم كبير، وله قوانينه التي تحكمه وتمنعه من الاقتراب من البشر، وأتكلم هنا عن الجن لا الشياطين، فالجني يعيش حياته ولا يحتاج للإنسان في شيء، وهو ممنوع من الفساد بين البشر، هذا غير أنه يجب أن يمتلك الجني مقدرة كبيرة للتأثير في عالم البشر، ولكن للجن قدرات كبيرة جدًا لن نفهمها الآن بالطبع، ولكنها قدرات تُحدث تأثيرًا في عالم البشر، وتأثيرًا كبيرًا إن أردت رأيي، وسأحكي لك عن قصة ذُكرت عن العلامة (ابن القيم الجوزي) رحمه الله في كتابة المشهور (العرائس).

اتفق لبعض طلبة العلم أنه سافر وساح في أرض الله، فبينما هو في برية واسعة بين جبال، إذ اشتدت عليه الظهيرة، فأخذه من العطش ما أخذه، فصار يلتفت يمينًا وشمالاً لعله يرى خضرة أو طيرًا، فلم يجد شيئًا من ذلك، وإذا هو برجل قد أقبل وسلم عليه، وقال له لعلك ظمآن، قال نعم. فأجلسه تحت وهدة من الجبل وغاب قليلاً، ثم أتى إليه بخبز ساخن كأنما خرج من تنور، وقثاة خضراء رطبة، وماء بارد، فأكل وشرب حتى رُدت روحه، وذهب ما به من ألم العطش والجوع والتعب وحمد الله تعالى، ثم قاما معًا حتى ظهرت لهما مدينة من بعيد، فقال له الرجل: قد صار لي عليك حق وذمام (أي عهد)، وأنا رجل من الجان، ولي إليك حاجة، فقال له يا أخي ما حاجتك، فقال إذا أتيت إلى مكان كذا من هذه المدينة فإنك تجد فيه دجاجات بينها ديك

أبيض، فاسأل عن صاحبه واشتره منه واذبحه، فهذه حاجتي. فقال ذاك مما لك علينا من الحق، وأنا أيضًا يا أخي أسألك حاجة، فقال ما هي، قال له إذا كان الشيطان لا تعمل فيه العزائم، وألح الآدمي، فما دواؤه؟ فقال يأخذ له وتر من جلد اليحمور (وهو الحمار الوحشي) فيُشد به إبهام المصاب شدًا وثيقًا، ويأخذ من دهن السذاب البري ويقطر في أنفه الأيمن أربعًا والأيسر ثلاثًا، فإن السالك يموت بوقته ولا يعود بعد ذلك، ثم قال: فلما دخلت المدينة أتيت إلى ذلك المكان، فوجدت الديك لامرأة عجوز، فسألتها بيعه فأبت، فرغبتها بالدراهم، فاشتريته بأضعاف قيمته، فلما اشتريته إذا بالجني تمثل لي من بعيد، وقال لي بالإشارة اذبحه فذبحته، خرج عند ذلك رجال ونساء يضربونني ويقولون إنك ساحر، فقلت لست بساحر، قالوا إنك ذبحت الديك وقد أصيبت شابة عندنا بجني، وهي بنت رجل عظيم ذي شوكة في البلد، ومتى علم بهذا الأمر قتلك، فقلت لهم ائتوني بقطعة جلد اليحمور، فأتوني بها فصنعتها خواتم، وطلبت منهم دهن السذاب البري فأتوني به، فدخلت عليها ولبستها الخواتم، فعند ذلك صاح الجني وقال علمتك على نفسي، ثم قطرت في أنفها اليمنى أربعًا وفي الشمال ثلاثًا، فخر ميتًا من ساعته، وعفا الله عن تلك الشابة ولم يعاودها بعد ذلك الألم.

رأيت في الحكاية السابقة قدرة الجني على إيذاء الشخص وقدرة الرجل على قتل الجني، ولكن طبعًا قتل الجن ليس كقتل نملة أو صرصور، بل هو قتل نفس، والموضوع ليس سهلاً، ولن يمر قتل نفر

من الجن على عشيرته هكذا مر الكرام، فلابد من الانتقام إذا كان من أسياد العشيرة.

المهم أن الجن له قدرة في التأثير في حياة البشر، بل وله قدرات اخرى، كأن يتشكل في أشكال البشر أو الحيوان أو بعض الجمادات.

وهو يكتسب بعض خواص الأشياء التي يتشكل في حيزها، فمثلاً لو تشكل في شكل بشر لأمكن قتله مثل البشر، وهكذا.

- إنني أفاجأ بكم غريب من المعلومات عن الجن، ولكن هل هناك فرق بين الجن والشيطان؟

- الحقيقة أن الكثيرين يجمعون بين الجن والشيطان والمارد والعفريت والقرين في سلة واحدة، ولكن الموضوع يحتاج لتفسير، فلفظة جن تندرج تحتها أنواع من الجن التي لها مسميات في عالمنا، فعندك مثلاً في تعريف لفظة (الغول):

قال (المنذري): الغول بضم الغين المعجمة هو شيطان يأكل الناس، وقيل هو من يتلون من الجن.

وقال (الجزري): الغولِ أحد الغيلان، وهي جنس من الجن والشياطين، كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس فتغول تغولاً، أي تتلون تلونًا في صور شتى، وتغولهم، أي تضلهم عن الطريق وتُهلكهم.

وفي تعريف لفظة المارد:

(مارد) مرد: أي تمرد، وتُطلق على من تمرد من الجن وخرج عنهم، ويُدعى ماردًا، وهو يمتلك القوة ليدخل في عالم البشر.

وفي تعريف لفظة (الجاثوم):

يقول ابن منظور في لسان العرب عن الأصمعي: والجُثامُ والجاثُومُ: الكابُوس يَجْثِمُ على الإنسان، وهو الدَّيْثانيُّ. التهذيب: ويقال للذي يقع على الإنسان وهو نائم جاثُوم، وجُثَم وجُثَمة ورازِمٌ ورَكّاب وجَثّامة.

والجاثوم هو صنف من الجن يتسلط على الإنسان عند النوم ويتحكم في مراكز الحركة في المخ، فيشعر الإنسان بحالة من الشلل ولا يستطيع أن يتكلم أو يصرخ أو يتحرك.

أما الشيطان فهو الذي يعمل على ضلال البشر أجمعين، وهو من نفس خلقة الجن، لكنه يعيش حياته في الوسوسة والضلال.

وقد قال (السيوطي) في كتابه الرهيب (لقط المرجان):

قال (ابن عبد البر): أسماء الجان عندهم على مراتب، فإذا ذكر الجن خالصًا قالوا: (جني)، وإذا أردوا مما يسكن مع الناس قالوا: (عامر)، والجمع (عُمّار)، وإذا كان مما عرض للصبيان قالوا: (أرواح)، وإذا خبث وتعرض قالوا: (شيطان)، وإذا زاد أمره على ذلك وقوى أمره قالوا: (عفريت).

والجن كالبشر يعيشون ويأكلون وينامون ويتناكحون ويتناسلون، فمنهم المسلم ومنهم النصراني ومنهم اليهودي ومنهم الكافر

والعاصي والغافل، ومنهم الغبي والذكي أو الضعيف أو القوي، وكل ما تتخيله، فهم عالم يعيش كعالمنا له قوانينه التي تحكمه وأعرافه التي تسيطر عليه.

ثم هناك الجن المسلم والنصراني واليهودي الذين لا يضرون أحدًا سواء من البشر أم من الجن، وهناك أيضًا المسلم والنصراني واليهودي الفاسدون في الأرض، فيضرون البشر والجن ولا يتركون شيئًا، وهم في عالمهم كالمجرمين في عالمنا، مطاردون منبوذون.

وتختلف بالطبع قوة كل نوع من الجن عن النوع الآخر.

فعندك مثلاً نوع من الجن يسمى الجن الطيار، وهو الذي يملك جناحين يطير بهما في السماء كالطير، ولكنه أسرع بالطبع من الطير بمراحل كثيرة، فهذا النوع له قدرات لا توجد لنوع آخر، وهناك مثلا المارد الذي يمتلك قوة كبيرة للتأثير في عالم الجن والبشر معًا، وهناك الشياطين التي تُسخر قواها للشر والفساد، ويزيدون قوة كلما زاد الفساد.

***

(مارد).. مرد: أي تمرد.. وتطلق على من تمرد من الجن وخرج عنهم، ويدعى ماردًا، وهو يمتلك القوة ليتدخل في عالم البشر

مرحبًا أيها المارد، ما رأيك في لقبك الجديد يا (ابن ذاعات)؟ المارد، سيكون هذا لقبك منذ الآن بعد أن خالفت الأعراف والقوانين.

***

انبهر (يوسف) بطريقة شرح الشيخ، وبقدرته على استرجاع المعلومات بسهولة وسردها بطريقة مباشرة، فكان (يوسف) يجاهد لمحاولة الاحتفاظ بأكبر قدر من تلك المعلومات في رأسه.

انتهى الشيخ من الكلام ينتظر سؤال (يوسف) القادم، فقال صديقنا:

– لم أكن أتخيل أن عالم الجن بهذا التعقيد، فأنا كنت أعتقده عالمًا همجيًا، يضرون بالبشر فقط ولا يفعلون شيئًا غير هذا.

ابتسم الشيخ وهو يقول:

– يهمل الكثيرون حقيقة يعرفها العلماء جيدًا، وهي أن الجن مكلفون بالعبادة كبني آدم، ويُحاسبون ويدخلون الجنة أو النار مثلنا، فما يجعلهم يتركون دنياهم وحالهم ولا يفعلون شيئًا سوى التدخل في عالمنا؟ بل الذين يتدخلون في عالمنا هم العصاة المجرمون المنبوذون في عالم الجن، مثل الشياطين مثلاً، أو المردة الكفرة.

والآن ما هو سؤالك القادم؟

– أعتقد أنني أريد معرفة هل يمكن أن توجد كلمات تُؤثر في الجن أو تُسخّره؟

– سؤالك هذا إجابته ستكون متفرعة ولها علاقة كبيرة بعلم الموجات الصوتية وبعض العلوم الأخرى، ولكني سأبسط لك الإجابة كي تفهمها من أول مرة.

قضية تسخير الجن تكون عن طريق كلمات ذكرتها لك منذ قليل.

فالكلمات التي يرددها الساحر – والتي تُسمى عزائم – في أغلب الأحيان تكون شركًا بالله عز وجل وتعظيمًا نشأن أحد ملوك الجن الكفرة، ولكن هناك طريقة أخرى وهي أن يُقسم الساحر على أحد أفراد الجن أن يخدمه بحق (اسم مارد من مردة الجن)، حيث إن نفر الجن العادي يخاف من هذا المارد أن يسبب له الضرر، وفي بعض الأحيان تكون الكلمات هي طلب من بعض أفراد الجن الحضور لينفذ شيئًا معينًا مقابل كلام معين، وفي الغالب تكون تلك الكلمات باللغة السيريانية، أو اللاتينية، أو العبرية القديمة، أو أي لغة قديمة، وفي بعض الأحيان يُعلّم الجن شفرة من الكلمات للساحر حتى يستدعيه بها في اي وقت.

الشق الثاني من الكلمات التي تؤثر في الجن يكون قراءة آيات من القرآن، وتلك الآيات التي تتوعد بالعذاب للمضللين وهكذا، لأن الجن يتأثر بها لأنه يعرف أنه بتدخله في عالم البشر يفعل معصية سيُحاسب عليها يوم القيامة.

ولا تنسَ أن الله لم يجعل لعالم الجن القدرة على التأثير في عالم البشر من فراغ، فالله له الحكمة في ذلك بالتأكيد، فربما كان ابتلاءً واختبارًا من الله سبحانه وتعالى للجان ليحاسبهم عليه يوم القيامة.

– سبحان الله، ولكن ماذا يمكن للجن أن يفعله في عالم البشر؟

– لا نعرف حدود قدرتهم، ولكن يمكننا مما رُوي لنا أن نحدد بعض الأشياء، مثلاً: يمكنه أن يؤثر بطريقة غير مفهومة لنا على مراكز عقلك، حيث يجعلك تشعر بأحاسيس وترى أشياء ليس لها وجود في

الواقع، وربما تحكم في بعض مراكز الكلام والأعصاب في المخ، ويمكنه أيضًا أن يتشكل في أشكال البشر، أو أشكال الحيوانات، أو أشكال بعض الجمادات، فيمكنه التأثير في دنيا البشر بتلك الطريقة.

وبالطبع هناك طرق أخرى، كثيرة لا يمكن معرفتها أو تحديدها.

***

لن تجده في سور الأزبكية الآن لأنه في مقبرته، لقد تُوفي عم (صبحي) منذ ما يقارب السبعة عشر عامًا، وكان يمتلك كشكًا بجانب هذا الكشك فعلاً، ويبدو أن أحدهم قد وصف لك المكان والشخص، ماذا يحدث لك يا بني؟ لماذا أنت مندهش هكذا؟

اجلس يا بني، فالإعياء يبدو عليك بشدة، هل أنت من طرف أحد أقربائه أم ماذا؟

***

عاد (يوسف) إلى منزله بعد أن استأذن من الشيخ في أن يذهب، لقد فهم الكثير جدًا عن عالم الجن.

تلك المعلومات التي رواها له الشيخ تتراص أمامه مرة أخرى، كمية من المعلومات التي بالطبع نسي منها القليل، لكنه يتذكر الكثير أيضًا.

فتح باب شقته ليرى أخته تجلس في الصالة تشاهد التلفاز.

– لماذا كل هذا التأخير؟ لماذا لم تتصل لتخبرنا أين كنت؟

كانت تلك من (رحاب)، وهي لم تُحرك عينيها من أمام التلفاز.

- انشلغت كثيرًا مع أصدقائي في أمور هامة.

هنا نظرت له (رحاب) وهي تقول:

- ادخل لتبدل ملابسك، وانتظرني دقائق لأعد لك العشاء.

- شكرًا، لقد أكلت منذ قليل مع صديقي، أحتاج أن أنام بشدة فلا توقظيني غدًا.

- أليست هناك محاضرات؟

- توجد واحدة ولكن لن أحضرها، فأنا لا أحتاجها.

دخل (يوسف) لغرفة نومه وقد ثقل جفنيه، وهو يشعر بخمول يجتاح جسده، ذلك الخدر الذي يصيبك بعد يوم شاق، استبدل ملابسه ثم دخل إلى الفراش وهو يقرأ بعض الأذكار كعادته، وأغلق جفنيه مستسلمًا للنوم براحة وهدوء بال.

***

ما تلك الرياح التي يشعر بها؟ إن الطقس بارد بالفعل لكنه يذكر أنه قد عاد لمنزله!! يشعر بهواء يدخل بين ضلوعه ويجعله يرتعش من البرد، ولكنه لا يرى شيئًا. شيئًا فشيئًا بدأ يرى صورة تتكون أمامه، إنه يرى نفسه يقف في منطقة تُحيط بها المرتفعات الرملية من كل الجهات، والظلام يغطي كل شيء، لقد فهم (يوسف) ما يراه الآن، إنه الآن داخل حلم!!

يبدو أنه علم أنه يحلم، ولكن عقله يعمل جيدًا وهو داخل الحلم، ولكنه مسلوب الإرادة، فالحلم يسير كما هو ولن يقف على ما يبدو.

إنه يرى مجموعة من الجمال تسير ببطء في وسط تلك الرمـــال، جمال!!!

وما الذي أتى بالجمال الآن؟

وبجانب الجمال يسير ثلاثة رجال. وعند أول جمل رجل يقـــوده، وعند آخر جمل هناك رجل أيضًا يراقب بقية الجمال حتى لا تحيد عن طريقها.

لم يكن يتبين في الظلام وجوه الرجال أو ملابسهم، ولكنه تبين أن بعض الجمال تحمل أشياء مربوطة على ظهرها، والبعض الآخر يحمل شيئًا مربعًا كبيرًا يشبه الهودج الذي كان يراه في أفلام عنتـــرة بـــن شداد، كأن ما يراه الآن هي قافلة تسير في الصحراء؟

وفجأة توقفت القافلة بين الرمال، وتقدم رجل من الذين كـــانوا يسيرون بجانب القافلة، ثم وقف بجانب جبل من الجبال الرملية ونظر إلى السماء ورفع يديه بجانب جسده، ثم قال بصوت عالٍ:

– أقسم عليكم يا أهل الجبال أن لا تؤذونا ولا تقتربوا منا هـــذه الليلة، أعوذ بسيد هذه الوديان من غدر أهل الجان، أعوذ بـــسيدكم أن يحمينا في مبيت قافلتنا هذه الليلة في واديكم، أعوذ بكم يا أهـــل وادي الجن، أعوذ بالملك الأحمر، وأعوذ بسمسائيل، وأعوذ بالمخلي بن ذاعات، وأعوذ بسيد وادي العداه وسيد وادي القرنيم.

كان (يوسف) يقف من بعيد في الحلم وهو يراقب هذا المـــشهد، وبمجرد أن سمع الكلمات وفهم أن الرجل يستعيذ بغـــير الله تـــأفف واستغفر الله.

ثم أعاد الرجل مرة أخرى تلك الجمل بصوت مرتفع عدة مرات، إلى أن جاء صوت من مكان ما من الصحراء جمد (يوسف) من الرعب.

صوت رفيع جدًا، ويتكلم بصوت كأنه الفحيح، وكان الصوت ممطوطًا.. قال الصوت عبارة واحدة، ولكنها كانت مسموعة:

أعذناك، أنت في أمان.

الصوت في الحقيقة يجعل فرائسك ترتعد، حتى إن (يوسف) بدأ يرتعش وقد فهم أن الموضوع له علاقة بالتحدث مع الجان.

أما الرجل الذي كان يقف في الصحراء يتكلم، فقد عاد لينيخ الجمال مع باقي الأشخاص، ثم بدأ الرجال في بناء خيام ضخمة، ولكن الغريب أن الرجال وهم يمدون الخيام توقفوا فجأة!

ثم نظروا جميعًا إلى المكان الذي يقف فيه (يوسف)، لقد ركزوا أنظارهم ناحية (يوسف) وكأنهم يرونه جيدًا، أما المصيبة أن (يوسف) قد رأى وجوههم في ضوء القمر، لم يتبين أشكالهم جيدًا، لكنه تبين منهم شيئًا واحدًا.

لقد كانوا ينظرون إليه ويبتسمون!

***

هذا غير أنه قديمًا ما كان المسافرون يستعينون بالملوك الجان لحراسة قوافلهم أثناء رحلاتهم، وكانوا يقسمون على ملوك الجان بحمايتهم.

10
ذكريات غريبة

الساعة الآن قد قاربت على الواحدة والنصف ليلاً و(عماد) مازال يجلس أمام مكتبه، ومن جانبه ارتفعت أصوات موسيقى من جهاز الكمبيوتر المجاور له، يفكر بعمق في الأحداث التي حدثت له صباحًا عندما قابل (أحمد) ابن شقيقته وصديقه (يوسف)، يا لها من مقابلة ويا لها من مفاجأة.

لقد كان يتوق لمشاهدة أحد أفراد العائلة من زمن طويل، منذ أن حدثت تلك الحادثة في الليل، إنها حادثة تقشعر لها الأبدان، لقد ظل يندم عليها إلى الآن.

أغمض عينيه قليلاً وهو يرى نفسه في صغره عندما أراد أن يقتحم عالم الجن والغيبيات بأي طريقة، عندما كان يبحث كالمجنون في داخل الكتب عن حوادث رؤية الجان أو العفاريت، ثم يسجل كل هذا في أبحاث ليبدأ تحليلها وتفنيدها، منذ الأحداث التي ذُكرت في كتب السحر الأوروبية إلى الأحداث التي ذُكرت في كتب العرب.

كان يملك ذاكرة تختزن كل ما تمر عليه عيناه عن تلك الموضوعات بسهولة، فكان يكفيه أن يقرأ أي كتاب ليحتفظ في عقله بمقتطفات كثيرة منه كأنها منسوخة، مازال يتذكر الكتب العربية التي انبهر بتفكير علمائها الذين عرضوا أشياء غريبة، ربما كانت بعيدة جدًا عن العقلية العربية في تلك الحقبة، فهو يتذكر مثلاً رأي القاضي (عبد الجبار) في مسألة تشكل الجن في صور مختلفة كالحيوانات والحشرات، حيث نفى أن يكون التحول بصورة بدائية كالتي يتخيلها العامة، من تحلل ذرات الجسد وتشكلها في أي شكل، فرأيه أن الذرات الخاصة بالجسد إذا تم انفصالها فإنها لا تعود مرة أخرى، ولقد عرض رأيًا شائقًا عن تلك المسألة.

وفي كتب السحر الأوروبية كان الساحر يرى الشيطان في صورة حيوانات تأتي له لتخبره بما هو مطلوب منه.

أما الكتب التي كُتبت باللغة الأوردية في أودية الهند؛ فقد حوت على أساطير عن رؤية الكائنات الغريبة، وذلك يكون بالتقشف والزهد لشهور طويلة جدًا، حتى تصل إلى حالة معينة من الصفاء تجعلك تستطيع رؤيتها.

والكتب العبرانية تكلمت عن تلك المسألة بطريقة غريبة بعض الشيء في موضوعات الطلاسم التي يجب أن تتم في مواعيد فلكية محددة لكي تأتي بخادم الجن، والذي لم يكن له وصف محدد في تلك الكتب.

إذن فالعبرة هنا أنك فعلت شيئًا لتستطيع أنت رؤيتهم، لا أنهم يظهرون لك بإرادتهم.

كانت تلك هي نقطة انطلاقه وبحثه في تلك المسألة، حيث تعرض لطرق غريبة في كتب سحر باللاتينية حصل عليها بطرق غير مشروعة، طرق تتحدث عن بعض الأعمال التي تفعلها، كأن تقتل فتاة وتُلطخ بدمها الأرض، ثم ترسم على الأرض رسومات معينة وتضع على الأرض بضعة قطرات من دمك، وأشياء أخرى معقدة جدًا، كي يحدث اتصال بين عالمك وعالم الشياطين.

هناك أشياء كثيرة مشتركة في تلك المسألة بين جميع الأمم، وهناك أيضًا اختلافات قبلية أو دينية أو لغوية، فالاختلافات القبلية كأن يقول لك الرجل أنك تقدر على رؤية روح الأجداد مثلاً، والاختلافات الدينية والتي وُجدت في عصور محاكم التفتيش هي التي طغت على بعض كتب السحر الأوروبية، من ذكر أن الذي يتعامل مع الشيطان ويبيعه روحه فإنه لن ينال خلاصه، واختلافات لغوية كتلك الكلمات التي يُقحمها أي شعب على كلمات السحر الأصلية، كأن يقول بعضهم في وسط الكلمات كلمات من الإنجيل أو القرآن محاولين إضفاء صبغة الدين عليها، أو أسماء رجال أو شخصيات ينتمون لذلك الشعب أو تلك الأمة، وربما حوت تلك الكلمات على تمجيد لبعض الأجداد.

بالطبع تلك الاختلافات قد ميزها (عماد) بعد خبرته لسنوات طويلة من القراءة، وقد توصل لطرق مجردة بلا أي إضافات بلا فائدة، وحتى تلك الطرق قد استبعد منها الطرق الغريبة التي شعر أنها

مجرد كلمات لها بعض المعاني العادية بعد ترجمتها من لغتها الأم، سواء كانت فرنسية أو إنجليزية قديمة أو لاتينية أو حتى عربية.

. وفي نفس التوقيت تقريبًا بدأ يدرس تشريح المخ ووظائفه دراسة جيدة حتى يفهم ما يقوم به، وبدأ في تلك الليلة باختيار طريقة من تلك الطرق.

طريقة كُتبت بأيدٍ عربية في أحد كتب السحر القديمة.

نفذها بدقة شديدة.

وانفتحت بعدها أبوب من العذاب لم يقدر على إغلاقها حتى الآن.

شعر بوخز خفيف في تلك الليلة في رأسه، ثم بدأت الرؤية تدخل في جانب من التشوش بلا معنى.

وفجأة جاءه صُداع رهيب في رأسه كاد يفجرها، وبدأ يرى ألوانًا غريبة تنتهي دائمًا باللون الرمادي، ثم شعر أن الألم يزداد في رأسه وأن هناك ألوانًا تتغير أمام عينيه بسرعة غريبة، ثم تلك الأشياء التي تتحرك بسرعة رهيبة، أشياء على السقف، أشياء على الأرض، على مكتبه، على فراشه.

أصوات كثيرة، همسات، صرخات، أضواء بيضاء تغمر الموجودات، ثم الأثاث يهتز ويبدأ بالارتفاع والهبوط بسرعة.

لحظات في ذلك العذاب لا يمكن تحملها، ولكنه فجأة شعر بارتخاء في عضلات جسده ثم سقط على الأرض.

سقط بالفعل على الأرض ولكنه مازال يرى.

الألم الذي عذب رأسه بدأ يهدأ تدريجيًا، والألوان كفت عن التغير، وبدا أن هناك تشوشًا بسيطًا في الرؤية، ثم اختفى هذا التشوش ليرى الأهوال أمامه.

من قال إن الساحر يعيش في نعيم؟ لقد دفعه فضوله للدخول في عالم لن يمكنه تحمله.. فليرحمه الله.

***

تراصت تلك الذكريات في عقله وهو مازال يجلس على المقعد مغلق العينين، حتى توقفت ذكرياته عند وقوعه على الأرض في ذلك اليوم، وبدأ برؤية الرعب الحقيقي، عندها فتح عينيه وابتسم بسخرية وهو ينظر حوله لتلك الكائنات التي تملأ الغرفة على السقف والأرض وفي كل مكان.

اعتدل في مجلسه وهو يُمسك بالورق الذي تركه (يوسف) ويعيد القراءة للمرة العاشرة، ثم يقف عند الصفحة التي احتوت على كلمات الاستدعاء، وتراصت الأفكار في عقله.

كلمات لاستدعاء خادم من الجن يجعلهم أغنياء، ضحك بسخرية وهو يقول في نفسه من هذا الطفل الذي يُخدع بعبارة كتلك، لا يوجد شيء اسمه خادم من الجن بمجرد أن تستدعيه يأتي لك بنقود، فحتى إذا كان من الممكن ذلك فإنه يحتاج إلى طرق معقدة وليس إلى قراءة كلمات فقط، هناك شيء غريب في تلك الكلمات، ففيها لهجة

للمخاطبة تحتوي على كلمات مثل (جنـــود) و(عـــودة) و(الجـــيش الأعظم)، وأشياء غريبة ليس لها علاقة بالمال بالطبع ولا بخُدّام الجن.

إنما دعوة لشيء ما لا يعلم ما هو، ولكنه بالطبع ليس شيئًا حقيرًا في عالم الجن، هناك دعوة لجنود لكي يعودوا!!

وعن لك قيد من يدعى (ابن ذاعات)؟!؟ ما تلـــك الإشـــارات الغريبة؟!!

المشكلة أن الكلمات تفعل شيئًا في الحقيقة لكنه يعلم أيضًا أنها لا تستدعي خُدّامًا من الجن لجعل الأشخاص أغنياء.

ثم هناك نقطة غريبة، لماذا يجب أن ينطق الأربعـــة الكلمـــات، ثم ينطق شخص خامس كلمات أخرى بها لهجة الاســـتدعاء الحقيقيـــة، والتي تحتوي على كلمات مثل (الوحى – العجل – الساعة)، تلـــك الكلمات هي دعوة معروفة في كتب السحر العربية وهي حقيقيـــة، ولكن لماذا كُتب في المخطوطة أن الساحر الفارسي الذي يُدعى (الحي بن القصاب) يقول تلك الكلمات فجأة، هل لم يكن الأربعة يعلمون أنه سيقولها؟!

بالتأكيد ذلك هو ما حدث، الساحر علّم الأربعة كلمات، ثم بدأ هو بترديد كلمات أخرى، يا ترى لماذا فعل ذلك؟

هناك شيء يعتقد أنه مألوف في موضوع أن ينطق شـــخص مـــا كلمات ثم وبعد أن ينتهي منها ينطق الساحر كلمات.

تلك الطريقة تُشبه التضحية، فالساحر من الممكن أن يجعل الضحية تنطق الكلمات ثم ينطق هو كلمات أخرى.

والآن هناك كلمات بعضها أسماء لملوك من الجن يعرفهم، وبعض الأسماء الأخرى التي لا يعرف معناها.

لكنه يتذكر جيدًا أن هناك ما يسمى علم الحرف، يتكلم عن أن هناك حروفًا إذا اجتمعت ونُطقت بطريقة معينة فإنها تُعطي ترددًا صوتيًا معينًا يسمعه أنفار من الجن، مهما كانت المسافة بعيدة عن الشخص الذي نطق الكلمة وعن الجني نفسه.. هل تلك الكلمات حروف مجمعة تُعطي ترددات وموجات صوتية معينة؟

من هو (ابن ذاعات) هذا؟ قرب (عماد) رأسه قليلاً من الورق ليتأكد من الاسم وينطق حروفه بصوت عالٍ ليتأكد من صحته..

- ابن.. ابن ذاعات.

هنا سمع أصوات كثيرة تصرخ، فنظر أمامه ليجد أشياء تقف تنظر له وتُطلق أصواتًا غريبة من حلقها.

أحس بخدر في أطرافه فجأة، ومال رأسه للأمام ليدخل في حالة إغماء، بالفعل دخل في تلك الحالة ولكن عقله ظل واعيًا لأنه بدأ برؤية أشياء كثيرة، وكأن هناك فيلمًا سينمائيًا يُعرض أمامه.

كانن مقيد بسلاسل وهو يصرخ وأمامه يقف شيئان لم يتبين ملامحهما، يحملان حرابًا مدببة ويوجهونها ناحيته بتحفز.

تبدلت الصورة فجأة لتظهر أمامه مقابر وسط منطقة صحراوية وقد غطت معظمها الرمال، ما هذا الذي يراه؟!

على كل مقبرة هناك شيء يقف، لا ليس شيئًا، بل هم رجال ونساء وأطفال يقفون ويبكون بلا سبب.

فجأة يرى الآن كائنًا بشع المظهر أسمر البشرة يجلس في خشوع، ما الذي يفعلة؟!

إنه يركع ثم يسجد! إنه يصلي كما يصلي المسلمون بالضبط.

مرة أخرى يتبدل المشهد ليرى ثلاثة رجال يغلفهم لون أحمر يُخفي ملاحهم ويُخفي ملامح أجسادهم، لكن هناك سلويت عام خارجي لهم يوحي بالضخامة! لحظة.

إنه يتذكر أنه رأى تلك الأجساد من قبل، نعم هؤلاء الثلاثة هم الذين كانوا يتبعون (يوسف) عندما قابله اليوم.

هو في الغالب يمكنه رؤية أنواع كثيرة من الجن، وفي أوقات مختلفة على حسب عوامل كثيرة، كسرعة الجني وحسب قدرته، وحسب أوقات ليلية أو صباحية، لكن هؤلاء الثلاثة لا يعلم ماذا بهم، فهو يعلم أنهم من الجن لكنه لم يرَ مثلهم من قبل، وخصوصًا أنه يراهم كسلويت، لكن كأشكال فهو لا يميزهم.

الثلاثة يقفون وفجأة بدأ أولهم في الاهتزاز بسرعة، كان يرتعش بسرعة رهيبة حتى بدأت تتشكل له ملامح رجل.

ثم بدأ الاهتزاز مرة أخرى لتتشكل ملامحه، ملامح رجل عجوز، ثم بدأ الرجل الثاني والثالث في الاهتزاز مثل الأول، وبدأت ملامحهما وأشكالهما تتغير بسرعة وتتبدل من امرأة إلى طفـــل إلى شـــاب إلى عجوز بسرعة.

وهنا..

بدأت الصورة تختفي تدريجيًا، حتى رأى (عماد) سوادًا تامًا..

بدأ يفيق رويدًا رويدًا وينظر حوله برعب، ثم ينظـــر إلى الأوراق التي تركها (يوسف) وهو يقول:

- هناك لغز رهيب وراء تلك الكلمات لابد أن أفهمه!

11

بعض المفاجآت

هذا هو اليوم الذي سيخبر فيه دكتور (يسري) أصدقاء (يوسف) عن حقيقة المخطوطة، ذهب (مصطفى) و(محمود) إلى مكتب الدكتور قبل أن تدق الساعة الواحدة بربع ساعة، ظلا يفكران في تلك المقابلة وهل سيتمكن أستاذهما من الوصول لمعلومات عن تلك المخطوطة أم لا.

ولكن بمجرد الاقتراب من مكتبه وجداه جالسًا وهو يشرب كوبًا من الشاي ويطالع كتابًا صغيرًا، فتنحنحا وهما على باب المكتب.

- أهلاً أهلاً تفضلا، لماذا تنتظران بالخارج؟

فدخل (مصطفى) و(محمود) بهدوء، وجلسا أمام مكتبه وهما ينتظران أن يبدأ هو بالكلام.

- الحقيقة أن موضوعكما قد استغرق مني مدة في البحث عن شيء يمت للقصة في الكثير من الكتب والمراجع، ولكني لم أجد ذكرًا

للقصة إلا في كتابين، الكتاب الأول قال عن القصة إنها من سبيل التدليس وأنها ملفقة للرحالة (ابن إسحاق)، وكتابه (كنز الرحلة) لم يحتوِ على شيء بخصوص ما يُسمى بـ (مدينة الموتى)، والتي قيل إن أحد تلاميذه قد تكلم عنها في مجموعة صفحات نقلاً عن كتاب (كنز الرحلة)، أما الكتاب الثاني فيقول بأن الرحالة (ابن إسحاق) قام برحلة إلى مصر، لكن لم يكن هناك ذكر للمدينة التي قيل إنها وُجدت في مصر، وأنها من الأساطير التي لم تنل الشهرة حتى، ومما سبق يمكنني أن أقول لكما إن الرحالة (ابن إسحاق) كان موجودًا بالفعل، لكنه لم يزر تلك المدينة، وبالنسبة لتلميذه فربما يكون موجودًا ولكنه لم يكتب أي ورق يتحدث فيه عن المدينة.

فكل تلك الحكايات هي من خيال الشعوب التي تُضخم الأشياء عن حدها الطبيعي.

كانت الصدمة واضحة من كلام الأستاذ على وجههما، فهما برغم كل شيء كانا يأملان أن يكون هناك شيء من الحقيقة في الموضوع، لكن أن تكون الحقيقة مؤلمة بتلك الطريقة فهذا شيء مؤسف.

- شكرًا لك يا دكتور، لقد أفدتنا جدًا ونأسف لإزعاجك

***

أكدب عليك إن قلت بحبك لسه أكدب عليك.. وأكدب عليك لو قلت نسيتك همسة أكدب عليك.. أمال أنا ايه، قلي انت أنا ايه.. اختار لي بر وأنا أرسى عليه..

ظلت نغمة الهاتف تتردد.

- ألو..

كان هذا صوت (يوسف) الناعس عندما استيقظ على صوت الهاتف المحمول:

- كيف أحوالك؟

- من أنت؟!

- أنا (مصطفى).

- مصطفى؟!

- لا حول ولا قوة إلا بالله، استيقظ من النوم يا (يوسف)، أنا (مصطفى) صديقك، استيقظ من فضلك قبل أن ينتهي الرصيد.

- آه تذكرتك، ما أخبارك وأخبار عمو (عادل)؟

- عمو (عادل)!! يبدو أنك لم تتذكرني، استمع لي، لقد سألنا أحد أساتذة قسم التاريخ عندنا عن موضوع (ابن إسحاق) والمخطوطة.

وكأن الذاكرة قد لطمت (يوسف) على عقله ليستعيد وعيه دفعة واحدة:

- تذكرت تذكرت، آسف يا (مصطفى)، ماذا قال؟

- قال إن الحكاية التي رُويت عن (ابن إسحاق) كلها ملفقة وكاذبة، وبالتالي لا توجد مخطوطة من الأساس.

- ما هذا الكلام؟ كيف يكون كل شيء بلا أساس فجأة هكذا؟

- هذا هو ما حدث والله، ولكنك لم تقل لي هل وجدت دليلاً ما في سور الأزبكية أم ماذا؟

تجمد (يوسف) لثوانٍ عندما ذكره (مصطفى) بموضوع سور الأزبكية، ماذا سيقول له؟!

- ما رأيك نتقابل الليلة جميعًا، ونتكلم عن الموضوع باستفاضة أكثر؟

- أنا موافق، ولكن ماذا عن الآخرين؟!

- سأقنعهم بنفسي، وخاصة أن اليوم ستُسافر أمي وشقيقتي إلى البلد في زيارة لخالتي المريضة، ستكون الشقة خالية.

- إذن سأخبر (محمود) و(حامد)، وأنت أبلغ باقي الشلة.

- بعد صلاه العشاء سأنتظركم الليلة، وأنا سأبلغ الباقي بالميعاد.

تيت تيت تيت تيت

ابتسم (يوسف) من داخله، يبدو أن رصيد (مصطفى) قد انتهى، و(مصطفى) لن يسامحه، في الغالب سينتقم وسيكون انتقامه عنيفًا.

***

بعد الطقوس المعتادة التي اعتاد أن يفعلها (يوسف) كل صباح، تأكد من ذهاب أمه إلى عملها، ومن ذهاب شقيقته إلى المدرسة، ثم اتجه إلى الهاتف ليطلب رقمًا يعرفه جيدًا، رقم (حبيبة).. فلقد اتفق

معها ألا يذهبا للكلية هذا اليوم ويجلسا ليتحدثا مع بعضهما إلى ان يأتي والدها من عمله.

لقد نسي كل شيء يتعلق بالمخطوطة وهو يمسك سماعة الهاتف منتظرًا أن ترفع (حبيبه) السماعة من الجانب الآخر، لم يبقَ في عقله إلا صوتها الرقيق الذي يحمله حملاً إلى عوالم أخرى، ووجهها الذي يرتسم دائمًا أمامه بابتسامتها الرقيقة، التي دائمًا ما تحمل بعض الخجل.

صوت (حبيبة) المليء بالنعاس والذي أضفى على صوتها الرقيق سحرًا آخر يأتيه قائلاً:

- ألو..

- صباح الخير.

ضحكت (حبيبة) ضحكة خفيفة وهي تقول:

- ما الذي أيقظك باكرًا هكذا؟

- قلت في نفسي كيف أفوت لحظة واحدة لا أستمع فيها لصوتك؟ فتبعت القول بالفعل.

ضحكت من كلماته، ثم بدأ صوتها يضيع منه أثر النوم وهي تقول:

- أصدقك أصدقك، لكن قل لي ما الذي أيقظك هكذا؟! فأنت من أعداء الاستيقاظ المبكر منذ سنين.

- مكالمة من صديقي (مصطفى).

- خيرًا؟

- سيأتي هو وباقي الشلة اليوم إلى الشقة عندي لنجلس قليلاً لنتسامر.

فردت عليه بشك:

- الشلة؟ اليوم!! وأنت قلت لي أمس إن شقيقتك ووالدتك ستكونان في البلد!! ماذا ستفعلون اليوم يا (يوسف)؟

قهقه (يوسف) ضاحكًا وقال:

- لا تخافي سنجلس نتسامر فقط.

- أرجوك يا (يوسف) أن تقول لي الحقيقة، هل ستفعلون أشياء كالتي يفعلها الشباب؟!

- شباب؟! وهل نحن عجائز، لا تخافي، سنجلس جميعًا لنناقش موضوع المخطوطة وماذا سأفعل بها.

- ألم تكن قد أنهيته أمس؟!

- لا يمكنني التخلص بهذه السهولة من المخطوطة.. يجب أن أتأنى قبل كل شيء.

- على سيرة المخطوطة، لقد حلمت أول أمس حلمًا لم أحكه لك، لأني لا أريد إزعاجك.

- حلم؟ حلم ماذا؟!

– لم يكن حلمًا بل كابوسًا، لقد رأيت نفسي وأنا أقف على جزيرة في وسط الماء، وهناك مقعد تحيط به النيران، ويقف أمامه أربعة رجال مكبلين بالسلاسل، وفجأة ذاب جلد الأربعة، ثم رأيت نفسي أذوب أنا الأخرى مثلهم، وعندما استيقظت وجدت جسدي ساخنًا كأنه خرج من الموقد منذ قليل، (يوسف) هل أنت معي؟ لماذا لا أسمع سوى صوت أنفاسك؟ هل ضايقك كلامي يا حبيبي؟

***

نكذب إن قلنا إن (يوسف) اندهش، ربما قد تعود على الاندهاش هذه الأيام، فلم تهز المفاجأة فيه شعرة، وربما كانت المفاجأة من القوة بحيث جعلته لا يندهش، ولكنه كان متأكدًا من أنه لم يقل تفاصيل هذا الكابوس لأي شخص، إذن فقد رأت (حبيبة) نسخة من الحلم.

– اسمعيني يا (حبيبة) هل استيقظت بعد هذا الكابوس؟

– نعم استيقظت وظللت مدة جالسة لأن النوم قد رحل من عيني.

– هل كانت الساعة حوالي الثانية؟!

ردت (حبيبة) باندهاش:

– كانت الثانية وخمس دقائق، ولكن من قال لك الساعة في ذلك التوقيت؟!

– هل كان المقعد في الحلم مطعمًا في جوانبه بالذهب.

– ؟!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

- هل سمعتِ صوتًا قويًا يُردد كلمات كثيرة لا تفهمين معناها؟

- من قال لك كل تلك التفاصيل؟! بالفعل كان الكرسي مطعمًا بالذهب، وهناك صوت ردد كلمات بلغة لم أفهمها؟ من فضلك فسر لي كيف عرفت.

- عرفت كل هذا ببساطة لأني حلمت بذلك الكابوس في نفس التوقيت تقريبًا، وبنفس التفاصيل.

كان الاثنان مندهشان بكل ما تحمل الكلمة من معنى، ولكن (يوسف) كان أقل دهشة من (حبيبة)، فهو قد تأكد الآن أن الأمر خارج عن نطاق المألوف.

- (حبيبة).. إن الأمر يتعلق بمخطوطة ابن إسحاق.

فردت حبيبة وآثار الدهشة مازالت في صوتها:

- ربما لأنك رويت لي قصة المخطوطة، فتخيلت ذلك الحلم من عقلي الباطن؟

- أنا لم أقل لك على نص الكلمات، اسمعي، الكلمات التي سمعتيها في الحلم هي الكلمات الموجودة في نص المخطوطة الأصلية، ولا يمكن أن يكون عقلك الباطن قد جعلك تتخيلينها بدون أن تسمعيها مسبقًا، ثم كيف نحلم نحن الاثنان في نفس التوقيت بنفس الحلم، مع فارق أنني في نهاية الحلم قد ذاب جسدي أنا، وأنتِ في نهاية حلمك قد ذاب جسدك أنت؟

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم أنا خائفة يا (يوسف)!

- لا تخافي.. ولكن هل حلمتِ ليلة البارحة بكابوس آخر؟

- لا أعتقد أني أذكر أي حلم حلمته الليلة السابقة، ولكن لماذا تسأل؟

- لأني حلمت بكابوس آخر، ولكن له طابعًا غريبًا.

كان (يوسف) يتذكر الكابوس جيدًا، لكنه لم يفهمه، ولم يهتم بتحليله أو حتى التفكير فيه مرة أخرى، ولكن يبدو أنه عندما تذكره، تذكر شيئًا معينًا فيه.

- دقيقة يا (حبيبة) وأعود مرة أخرى.

لقد تذكر أنه في حلمه رأى الرجل وهو يردد بعض الأسماء الغريبة، ولكنه متأكد من أنه سمع أحد تلك الأسماء التي كان الرجل يعوذ بها، فجاءت في باله على الفور المخطوطة..

ذهب إلى درج مكتبه ليفتح أول درج ويُخرج المخطوطة، ونزل بعينيه يبحث في أسماء الأربعة أو أي اسم آخر فلم يجد شيئًا مألوفًا.

وعندما وقعت عيناه على التعويذة تذكر ما هو الاسم الذي سمعه قبل ذلك.

***

يا من تسمعون في وادي القرنيم بحق سيدكم وبحق مقبلكم فكوا قيد ابن ذاعات فكوا قيد ابن ذاعات فكوا قيد ابن ذاعات فيدعاهاط موسماعل بق حق إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه شرطيائيل موهوقمي نوخيشما بهدار مخلي.

أعوذ بكم يا أهل وادي الجن، أعوذ بالملك الأحمر، وأعوذ بسمسائيل، وأعوذ بالمخلبي بن ذاعات، وأعوذ بسيد وادي العداة وسيد وادي القرنيم.

***

الكلمات التي قالها الرجل في حلمه:

سمسائيل

المخلبي بن ذاعات

وادي القرنيم

والكلمات المشابهة لها في المخطوطة

ابن ذاعات

المخلبي

سمسائيل

واد القرنيم

إذن هذه هي الكلمات المشابهة بين الحلم والمخطوطة!! ولكن في المخطوطة مكتوب (ابن ذاعات) في نص، و(المخلبي) في نص آخِر، أما الحلم فإن الرجل ذكر أن هذا اسم شخص، وأن اسمه (المخلبي بن ذاعات).

لو كان عقله هو من ركب له هذا الحلم، عن طريق تخزين معلومات من المخطوطة، فلا يمكن له أن يركب اسمًا كاسم (المخلبي

بن ذاعات)، لأنه هو نفسه لم يلاحظ أو يفهم أن المخلمي ابن ذاعات هذا اسم!!

كانت تلك الخواطر تدور في عقله وهو يتجه سريعًا ليمسك سماعه الهاتف ويقول:

– أعتذر على التأخير، كنت أبحث عن المخطوطة.

– لا عليك، ولكن لماذا تبحث عنها؟ وما هو الحلم الذي رأيته ليلة البارحة؟

– في الحقيقة أنا أبحث عن المخطوطة لأفسر الحلم الذي رأيته البارحة!

– ؟!!!!!!!!!!!!!!

– لأن الحلم الذي رأيته كان في مكان يشبه الصحراء، وهناك قافلة تسير ويحرسها بعض الأشخاص، وفجأة رفع أحد حراس القافلة يده وظل يعوذ بأسماء ملوك الجن من شرهم.

– ملوك الجن!! أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ولكن ما معنى يعوذ؟

– أنت تعوذتِ الآن عندما قلتِ (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)، فنحن نعوذ بالله، أي نستعين بالله من شر الشيطان الرجيم كي يعيننا عليه، أما هذا الرجل فكان يستعين بملوك الجن لحماية قافلته، والاستعاذة بغير الله هي كفر بالطبع!

– أعوذ بالله.. ولكن ما دور المخطوطة في تفسير ذلك الحلم؟

- الرجل الذي تعوّذ في الحلم بأسماء لملوك الجان قال أسماء معينة، هذه الأسماء وجدت أنها موجودة في المخطوطة. لكن ليست مباشرة كما قال الرجل، ببساطة أكثر الحلم ذكر أسماء موجودة في المخطوطة لكنها متفرقة في عدة أماكن في النصوص.

- وما معنى هذا؟!

- لا أعلم، لكنها رسالة ما، رسالة لم أفهم مضمونها حتى الآن.

- وماذا ستفعل؟!

- لا أعرف، لكن بدأت أخاف، أشعر بأني أسير لشيء ما.

- (يوسف)، بالله عليك اترك هذا الموضوع وتخلص من المخطوطة، فقد بدأت أشعر بانقباض شديد منها.

- الليلة سأنهي كل شيء صدقيني.

لقد كان (يوسف) يمني نفسه بأن ينسى كل شيء عن المخطوطة وهو يتحدث مع (حبيبة)، كان يأمل أن تأخذه كلماتها إلى عالم رومانسي آخر لا وجود فيه لوديان الجان، ولا (ابن إسحاق)، ولا القوافل الليلية التي تستعين في حمايتها بحراس من الجان، لكن انقلب الحديث مرة أخرى ليعود لمخطوطة بن إسحاق مرة أخرى.

- ماذا تقصد بكلمة الليلة ستُنهي كل شيء؟!

- أقصد أنني سأجتمع أنا وأصدقائي الليلة، (إسلام) و(محمود) و(مصطفى) و(أحمد) و(حامد)، وسننهي موضوع المخطوطة الليلة، حتى ولو كانت النهاية بحرقها.

- (يوسف)، حاذر على حياتك، فأنا أريدك حيًا.

- لا تخافي، ولكن بعد كل تلك الأشياء التي رأيتها، إذا كنتِ تخططين للزواج مني فلا تفكري في الأطفال.

ارتفعت ضحكة (حبيبة) في أذن (يوسف) لتجعله يبتسم، لقد بددت ضحكتها جو التوتر الذي ساد المحادثة منذ قليل.

- (يوسف)، سأضطر الآن لغلق السماعة، أسمع أحدهم يفتح باب الشقة، ربما كان أخي، سلام مؤقت.

أغلقت (حبيبة) السماعة، وعلى الجانب الآخر (يوسف) يلعن ويسب الشخص الذي قطع حديثهما

***

12

هيا لنجتمع

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام.

- (حامد) موجود؟

- نعم، من معي؟

- (يوسف).

- لحظة واحدة.

- ألو.

- (حامد)، كيف حالك يا شقي؟

- أبو (يوسف)، هل مازلت حيًا ،كيف هي أحوالك؟!

- الحمد لله، ما آخر أخبار الصياعة وأخبار الشقاوة؟

قهقه (حامد) - المهيس - بصوت عالٍ وقال:

- تم تدعيم الصياعة منذ يومين، ولكن ما أخبار الجماعة؟

وهنا يقصد (حامد) بكلمه الجماعة (حبيبة).

- الحمد لله، أريدك في خدمة صغيرة.

- تحت أمرك، هل تريد سيجارة بانجو أم حشيش بالحنة؟

- خيبك الله، أنا أتكلم بجدية، أريدك الليلة أنت وباقي الشلة، نتسامر ونجلس سويًا.

- لكني مشغول الليلة، سألعب في الدور قبل النهائي في دورة البلاي ستيشن!

- اترك دورة البلاي ستيشن الليلة لأجلي فقط.

- سأحاول ولكني لا أعدك، فتصفيات الليلة ستؤهل للدور النهائي بين منتخب شباب (شبرا مصر) ومنتخب شباب (شبرا الخيمة)، ويجب ألا أتخلى عن فريقي!

- ولأي فريق فيهما تنتمي؟!

- منتخب شباب (أبو أتاتا) نياهاهاهاهاهاهاه.

- (حامد)، ستأتي الليلة بلا مناقشة، ولا تُتعب أعصابي هزارك السخيف هذا، موعدنا عندي في الشقة بعد صلاة العشاء.

- تقبل الله.

- منا ومنكم يا خفيف.

- أقابلك الليلة إذن بعد صلاة العشاء في العوامة يا سي السيد.

- سلام يا (حامد)، فإن أعصابي لن تتحمل خفة دمك أكثر من ذلك.

***

نص رسالة أرسلها (يوسف) إلى صديقه (إسلام) على هاتفه المحمول:

(إسلام)، أريدك أنت و(أحمد عبد الحميد) الليلة في الشقة عندي بعد صلاة العشاء. سنتقابل جميعًا بما فينا (حامد) و(مصطفى) و(محمود). لا تنسَ التأكيد على (محمود). أنتظركم.

***

الساعة (السابعة) ليلاً في منزل (يوسف)

1/22

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمدًا رسول الله..أشهد أن محمدًا رسول الله

حي على الصلاة.. حي على الصلاة

حي على الفلاح... حي على الفلاح

الله أكبر. الله أكبر

لا إله إلا الله

كان هذا أذان العشاء من المسجد المجاور لـ (يوسف)، ولكنه لم يسمع سوى آخره لأنه كان يغط في النوم من قبل صلاة المغرب عندما شعر بالإجهاد، وحتى يكون متيقظًا أثناء وجود أصدقائه ليلاً.

فقام من نومه وهو ينظر لهاتفه المحمول ليرى كم الساعة، رباه لقد ضاعت منه صلاة المغرب!!

قام جريًا إلى الحمام ليتوضأ ليلحق الصلاة في المسجد.

ثم خرج من مترله مهرولاً.

نحن الآن نجلس في المسجد الذي يُصلي فيه (يوسف) دائمًا، انتهت صلاة العشاء وبدأ المصلون في المغادرة، ولكن (يوسف) ذهب إلى الإمام:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاتة، (يوسف)؟ ما أخبارك يا صديقي؟

كانت تلك العبارة من الشيخ (محمد) الذي ابتسم بمجرد رؤية (يوسف).

- هناك موضوع أريد أن أخبرك به يا شيخ، لا أعرف لكني أشعر أنني يجب أن أخبرك أنت بكل شيء عن الموضوع لسبب لا أعلمه.

- تفضل يا (يوسف) ماذا هناك؟!

أخذ الاثنان أحد أركان المسجد، ثم بدأ (يوسف) في شرح كل شيء عن المخطوطة بتفاصيلها التي قابلته منذ أن وجدها إلى أن بحث عنها وأخبر أصدقاءه بها، وحتى حادثة سور الأزبكية التي لم يجد الكشك بها، ثم ذهابه لـ (عماد).

في هذه المرة روى (يوسف) كل جوانب القصة بلا أي حذف، كان الشيخ ينظر له مذهولاً لا يعلم كيف ينطق أو ماذا يقول!!

***

الساعة (السادسة والنصف) في منزل (إسلام)

1/22

(إسلام) يجلس أمام شاشة الكمبيوتر، وبجواره (أحمد)، يتحدثان.

– هل تعتقد أن (يوسف) قد توصل لشيء بخصوص موضوع المخطوطة؟!

كانت تلك العبارة من (إسلام).

– لا أعرف ولكن الموضوع نفسه شائك، وخاصة بعد أن قابلت اليوم (مصطفى) وأخبرني أن أحد أساتذة قسم التاريخ قد قال ببطلان تلك القصة.

لم يكن (أحمد) يريد أن يخبر (إسلام) عن موضوع لقاء خاله هذا قبل أن يخبره (يوسف)، فربما كان (يوسف) لا يريد أن يعلم أحد بهذا الموضوع.

– ومع ذلك نحن لم نعرف بعد ما توصل له (يوسف) عندما ذهب لسور الأزبكية، فربما وصل إلى طرف خيط بخصوص المخطوطة.

– ربما توصل لشيء.. ولكنني منقبض من تلك المخطوطة بدرجة لا تتخيلها.

– ؟!!!!!!!!!!!!

اعتدل (أحمد) في جلسته وبدأ يتكلم.

- هل تعرف، إن تلك المخطوطة لها تأثير كبير على نفسي، فبالرغم من أني لم أكن أصدقها منذ أن حكى لنا (يوسف) كيف اشتراها، لكن يبدو أن عقلي قد تأثر بها جدًا.

- ماذا تقصد؟

- لقد حلمت أول أمس بكابوس رهيب، أنني أقف على يابسة في المياه وأمامي أربعة رجال مكبلين من أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، ووجوههم تذوب بفعل السخونة التي لم أعلم مصدرها، وفي نهاية الكابوس ذاب جسدي من السخونة مثلهم.

كان (إسلام) منشغلاً بشيء ما على الكمبيوتر، ولكنه بمجرد سماع الكابوس الذي رواه (أحمد) توقفت عيناه في محجريهما ثم نظر ببطء إلى (أحمد)!!

إن الكابوس الذي يصفه (أحمد) قد شاهده هو نفسه أول أمس أثناء نومه!

***

لقد رأى الأربعة المكبلين بالسلاسل وهم يعرقون بغزارة، ثم يصعد دخان من أجسادهم، لماذا يصعد الدخان من أجسادهم؟ لأن وجوههم تذوب بالطبع، كان مشهدًا مثيرًا للاشمئزاز أكثر من كونه مرعبًا، وجوههم تذوب وتتحول لسائل لزج يتساقط على الأرض ببطء.

***

الساعة (الثامنة إلا ربع) أمام باب شقة (يوسف)

1/22

الآن (يوسف) يفتح باب الشقة ليدلف إليها بهدوء، ولكن مهلاً، نسيت أن أصف لك الشقة من الداخل.

هي شقة، تتكون من صالة واسعة وثلاث غرف وصالون، نسيت أن أقول لك إن المنزل الذي يسكنه (يوسف) يتكون من خمسة طوابق، وشقته تحتل الطابق الثالث، نسيت أيضًا أن أقول إن ذلك المنزل بالكامل يسمى (منزلاً عائليًا)، أي إن جميع طوابقه تسكنه عائلة واحدة، وهذا هو ما كان..

فعائلة والد (يوسف) تحتل الدور الأول والثاني والثالث والرابع، أما الطابق الخامس فقد بناه والد (يوسف) ليجعله شقه ليتزوج فيها ولده.

الطابق الخامس يتكون من شقة تم تجهيزها بأشياء بسيطة، كان (يوسف) يذاكر فيها من وقت لآخر، وربما جلس بها هو وأصدقاؤه

يثرثرون في أي شيء، وفي بعض الأحيان كان ينقل إليها جهاز الكمبيوتر ليجلسوا أمامه ويشاهدوا آخر الأفلام.

الآن وقد وصفت لك مترل (يوسف) وشقته، بقي أن أصف لك (يوسف) نفسه.

طوله يتراوح بين الـ **180** والـ **185**.. وربما كان أطول، جسده يميل للنحافة .

أبيض البشرة، لا يوجد شيء يميزه، فليس له شارب ولا لحية، وعيناه غير مميزة في شيء سوى في شيء بسيط؛ أن حواجبه تأخذ شكلاً يجعل للعين مظهرًا يذكرك بالذئاب عندما تنظر لفريستها قبل الاصطياد، حتى إن البعض عندما يراه لأول مرة يعتقد أنه ينظر لعيني حيوان مفترس.

أما فمه فكان عاديًا، لا شيء يميزه، ربما قلنا إنه يمتلك أنفًا صغيرًا نسبيًا.

نرجع مرة أخرى لصديقنا وهو يفتح باب الشقة ليدلف لداخلها، ثم يضيء الأنوار التي أغلقها قبل أن يذهب للمسجد.

بدأ (يوسف) في التحضير لجلسة أصدقائه، فجهز ستة أكواب فارغة ووضعها على صينية في المطبخ، وبجانبها وضع البراد جاهزًا ليرفعه على النار، براد واحد لا يكفي، لذا أخرج برادًا آخر من أحد أرفف المطبخ.

بضعة دفقات من معطر للجو ثم أضاء أنوار غرفة الصالون، إذن كل شيء جاهز للشباب عندما يأتون.

***

الليلة سأنهي كل شيء صدقيني.

***

13

اكتشاف بسيط

عاد (عماد) من مكتبه مجهدًا ودخل شـقته، ولكنـه لم يجلـس ليستريح، بل توجه مباشرة إلى مكتبة ليكمل ما كان يبحثـه أمـس ليلاً.. فقد ظل طوال الليل يفرض الاحتمالات ويبحث في الكتب عن شيء يشبه تلك الطريقة التي كُتبت بها الكلمات التي في المخطوطة.

لقد تحول المكتب إلى عشة فراخ من كثـرة الفوضـى، كتـب وأوراق مبعثرة في كل مكان، وأقلام هنا وهناك، ولكن في جزء صغير كان الورق الذي تركه له (يوسف) كما هو كي لا يضيع في وسـط تلك الفوضى.

جلس على المقعد المقابل للمكتب ثم أحضر ورقة بيضاء وقلمًـا وبدأ يفعل عادته القديمة، حيث يفكر بعقله، وكلما توصل لفكـرة صحيحة يدونها على الورقة أو يدون كلمة تدل على تلك الفكـرة، وبدأ عقله يفكر بقوة مرة أخرى:

هناك خيوط كثيرة متشابكة لا تقوده إلى شيء، فهناك مخطوطة تحتوي على كلمات كُتب بعضها بالسريانية وبعضها بالعربية وبعضها تجميع لحروف لا يفهم معناها.

الكلمات العربية تدعو لفك قيد شخص يدعى (ابن ذاعات)، ثم هناك دعوة لرجوع جنود المارد لتكوين الجيش الأعظم.

من المستحيل أن تكون تلك الكلمات مخصصة لاستدعاء خادم من الجن، فاللهجة توحي باستدعاء شيء غريب، ولا أعتقد أن هذا الشيء إذا تم استدعاؤه سيهتم بالمال.

أما الكلمات السريانية فقد احتوت على أسماء من ملوك الجن في العالم القديم، هو يعرف اسمًا أو اثنين من أسماء هؤلاء الملوك لأنه قد قرأ أسماءهم في بعض كتب السحر، ولكن هناك أسماء لم يسمع بها.

هناك لهجة يعرفها جيدًا تُسمى القسم، وهي لهجة تؤدي للكفر بالطبع، فقبل بعض الأسماء ذُكرت كلمة (بحق)، فتحولت اللهجة إلى بحق كذا وكذا، وهي لهجة يخاطب بها الساحر أنفار الجن العادين ليفعلوا شيئًا معينًا، لأن الساحر عندما يقول بحق الملك كذا فإن خادم الجن يخاف من بطش هذا الملك به.

فيفعل ما هو مأمور به إلا في حالات معينة.

الغريب هنا أن هناك ما يُدعى وادي القرنيم، وهو لم يسمع بهذا الاسم أيضًا، هناك وديان للجن وعشائرهم، لكن أسماءها مختفية عن الأغلبية، وبعضها غير صحيح.

رفع (عماد) عينيه من على الورقة بعد أن آلمته هي ورأسه من كثرة التركيز.

فقام من على المكتب وذهب لغرفة نومه ليخلع العدسات اللاصقة التي يرتديها ثم يرتدي زوجًا آخر، قليلون هم من يعرفون أن نظره ضعيف جدًا جدًا، وأنه أجرى عملية جراحية من قبل بسبب ضعف بصره، وأجرى تعديل نظر بالليزك، ولكنه يرتدي العدسات أيضًا.

لا أحد يعرف أن ذلك الضعف السريع قد أصابه بعد تلك الليلة التي استطاع أن يرى فيها الجن.

ربما هناك عيوب كثيرة لرؤية الجن.

***

عاد مرة أخرى لمكتبه، ولكنه توقف قبل أن يجلس على المقعد، وبدأ يتذكر الكتاب الذي اشتراه منذ أربع سنوات وكان يتكلم عن الحروف وخواصها.. أين مكانه.. أين مكانه؟!

نعم ها هو، أخرج (عماد) الكتاب من على أحد الأرفف ثم أخذه معه إلى المكتب وفتحه، وبدأ في النظر السريع لصفحاته حتى يجد ضالته. كتاب أصفر اللون هو، يتكلم عن الحروف وخُدّامها، وأن لكل حرف خُدّامًا ينفذون أوامره، إذا اجتمعت بعض الحروف ونُطقت فإن الخُدّام ينفذون أمرًا معينًا بلا نقاش، كما كانت هناك طرق قديمة لحبس البشر والعفاريت على السواء بتلك الحروف.

الحروف تُكتب على جبينهم مثلاً، فيفعل خُدّامها المأمور به.

كأن أكتب مثلاً تلك الحروف على أيدي بشر، فتمنعها من التحرك.

كذلك فإن التعاويذ بعضها هو مخاطبة للجان والعفاريت وبعضها هو حروف مجمعة تأمر خُدّام الحروف بفعل شيء معين، بالطبع الأشياء التي ذكرها الكتاب عن قدرات تلك الحروف ضئيلة جدًا.

لحظة..

رفع (عماد) عينيه وقد بدأت الأفكار تلتحم في رأسه في تسلسل.

هناك حلقات مفقودة، ولكن يمكن توقعها بشيء من العُسر.

الكتاب يتكلم عن حروف يمكن أن تسجن بشر أو جان.

الكلمات العربية في المخطوطة كانت تدعو لفك قيد (ابن ذاعات)!!! ياللهول!

هل ما يفكر فيه حقيقي؟

هناك نوعان من التعاويذ كما ذكر الكتاب، النوع الأول وهو الطلب أو القسم على الجني أو الخادم ليفعل شيئًا ما.

وهو يعرف هذا النوع جيدًا.. النوع الثاني وهو الحروف التي تتجمع لتأمر خُدّام الحروف بشيء معين، ربما كان فعلاً معينًا مثل.. مثل حبس شخص ما.

هناك شخص محبوس، ولكن تلك الكلمات بالتأكيد لم تكن لحبسه، بل هي لتحريره على ما يبدو.

يا للهول، لقد فهم الآن، لقد فهم!

عندما نطق وقال (ابن ذاعات) في المرة السابقة ورأى بعدها عُمّار المكان من الجن ينظرون له يتعجب، ثم دخل في غيبوية ونُقل لعقلـــه الكثير من المشاهد الغريبة.

كان هناك مشهد يمثل كائنًا مقيدًا بسلاسل وهو يصرخ، وأمامه يقف شيئان لم يتبين ملامحهما يحملان حرابًا مدببة ويوجهونها ناحيتـــه بتحفز.

هذا الشيء، هذا الشيء.. هذا الشيء هو:

– ابن ذاعاااااااااااااااات!

لقد نطق (عماد) تلك الكلمة بانتصار وبدون وعـــي، يبـــدو أن (عماد) مصاب بنوع نادر من التخلف العقلي.. فعند نطق اسمه هذه المرة سمع أصوات صفير شديدة، ثم غاب عن الوعي مرة أخرى!

***

14

بداية النهاية

الساعة الثامنة والربع في شقة (يوسف)

1/22

تن تن.. تن تن.. تن تن.... دوم دوم دوم..

بالطبع لا أحتاج لتوضيح أن التن تن هو صوت جرس شقة (يوسف)، والدوم دوم هو صوت الطرقات على الباب.

– ميييييييين؟!

كانت تلك من (يوسف) وهو يتجه إلى باب الشقة ليفتحه، ولكنه كان يعرف مسبقًا أن الطارق هو أحد أصدقائه.

– معك (حامد) من وزارة القوى العاملة، حان وقت تعيينك لأنك شخص رائع جدًا!

قهقه (يوسف) ضاحكًا وهو يفتح الباب ليظهر خلفه (حامد) بابتسامة بلهاء، كان يرتدي تي شيرتًا ملتصقًا بجسده، وسروالاً من الجينز.

- صباح الفل يا ست الكل.

- أرجو أن تُوقف تهييسك الليلة لأني لست في البال الرائق لأمثالك.

دخل (حامد) للشقة وهو يبتسم ببلاهة، ولكن قبل أن يغلق (يوسف) الباب وراءه ظهر على باب الشقة (مصطفى) و(محمود) وهما يصعدان بسرعة حتى يلحقا بباب الشقة قبل أن ينغلق، فيبدو أنهما سمعا (يوسف) يتحدث مع (حامد) وهما مازالا في الطابق الأول.

- أهلاً أهلاً بشباب مصر الواعد.

دخل الاثنان للشقة وأغلق (يوسف) وراءهما الباب، ثم مشوا جميعًا باتجاه الصالون، ليجلس الجميع وهم يتبادلون النكات والقفشات القديمة.

فتح (يوسف) جهاز الكمبيوتر ليستمعوا لبعض الأغاني.

- يا هلا يا هلا يا شباب.

فرد (مصطفى) باسمًا:

- لقد قلت إنك تريدنا الليلة لمناقشة موضوع المخطوطة، هل توصلت أنت لشيء فيها؟

- الموضوع سنناقشه بانفتاح أكبر بعد أن يأتي (إسلام) و(أحمد)، أعتقد أنهما لن يتأخرا.

قال (حامد) بشك وهو ينظر إلى (يوسف):

- أعتقد أنك لم تذكر لي شيئًا عن أنك تريدنا الليلة لمناقشة موضوع المخطوفة!

- تقصد المخطوطة!

- أيًا كانت، لم تنبهني لذلك، بل قلت إننا سنجلس سويًا لنتسامر، أليس كذلك؟

- سامحني هذه المرة، كنت أحتاج رأيك السديد في مناقشة موضوع المخطوطة معنا، وأردت أن تأتي بشدة، لقد فعلت ذلك من قبيل حبي لك.. (أنا باحبك ليه انت لأ؟).

- وتتركني أضيع على فريقي فرصة الفوز في التصفيات قبل النهائية؟ عليك اللعنة، اغرب عن وجهي، هذا المترل محرم عليك إلى يوم الدينونة!

- اهدأ يا يوسف بك وهبي، ولا تنسَ أن هذا المترل مترلي!

فقال (محمود) ببراءة:

- هل أنت مشترك في التصفيات النهائية لفريق لكرة القدم؟!

اعتدل (حامد) بحماسة ليتكلم مع (محمود)، ولكن صوت جرس الباب أسكته، فذهب (يوسف) ليفتح الباب ليرى (إسلام) وبجواره

قهقه (يوسف) ضاحكًا وهو يفتح الباب ليظهر خلفه (حامد) بابتسامة بلهاء، كان يرتدي تي شيرتًا ملتصقًا بجسده، وسروالاً من الجينز.

- صباح الفل يا ست الكل.

- أرجو أن تُوقف تهريسك الليلة لأني لست في البال الرائق لأمثالك.

دخل (حامد) للشقة وهو يبتسم ببلاهة، ولكن قبل أن يغلق (يوسف) الباب وراءه ظهر على باب الشقة (مصطفى) و(محمود) وهما يصعدان بسرعة حتى يلحقا بباب الشقة قبل أن ينغلق، فيبدو أنهما سمعا (يوسف) يتحدث مع (حامد) وهما مازالا في الطابق الأول.

- أهلاً أهلاً بشباب مصر الواعد.

دخل الاثنان للشقة وأغلق (يوسف) وراءهما الباب، ثم مشوا جميعًا باتجاه الصالون، ليجلس الجميع وهم يتبادلون النكات والقفشات القديمة.

فتح (يوسف) جهاز الكمبيوتر ليستمعوا لبعض الأغاني.

- يا هلا يا هلا يا شباب.

فرد (مصطفى) باسمًا:

- لقد قلت إنك تريدنا الليلة لمناقشة موضوع المخطوطة، هل توصلت أنت لشيء فيها؟

- الموضوع سنناقشه بانفتاح أكبر بعد أن يأتي (إسلام) و(أحمد)، أعتقد أنهما لن يتأخرا.

قال (حامد) بشك وهو ينظر إلى (يوسف):

- أعتقد أنك لم تذكر لي شيئًا عن أنك تريدنا الليلة لمناقشة موضوع المخطوفة!

- تقصد المخطوطة!

- أيًا كانت، لم تنبهني لذلك، بل قلت إننا سنجلس سويًا لنتسامر، أليس كذلك؟

- سامحني هذه المرة، كنت أحتاج رأيك السديد في مناقشة موضوع المخطوطة معنا، وأردت أن تأتي بشدة، لقد فعلت ذلك من قبيل حبي لك.. (أنا باحبك ليه انت لأ؟).

- وتتركني أضيع على فريقي فرصة الفوز في التصفيات قبل النهائية؟ عليك اللعنة، اغرب عن وجهي، هذا المترل محرم عليك إلى يوم الدينونة!

- اهدأ يا يوسف بك وهبي، ولا تنسَ أن هذا المترل مترلي!

فقال (محمود) ببراءة:

- هل أنت مشترك في التصفيات النهائية لفريق لكرة القدم؟!

اعتدل (حامد) بحماسة ليتكلم مع (محمود)، ولكن صوت جرس الباب أسكته، فذهب (يوسف) ليفتح الباب ليرى (إسلام) وبجواره

(أحمد) يرتديان (ترينج)، وذلك ليس غريبًا أن يحضرا بملابس عادية، لأنهما يقطنان في آخر الشارع الذي يقع فيه منزل (يوسف).

- تفضلا.

- احم احم، يا رب يا ساتر!

- ادخلا بلا فذلكة، لا يوجد أحد في الشقة غيرنا.

دخل (إسلام) و(أحمد) إلى الصالون ليقابلا بقية الأصدقاء الذين أخذوهما بالأحضان والقبلات والمداعبات الساخرة.

- ثوانٍ وأعود.

كانت تلك من (يوسف) وهو ذاهب إلى المطبخ قبل أن يغلق الصالون من خلفه، وضع برادي الشاي على الموقد، ثم أضاف السكر إلى الأكواب، وبعض ملاعق الشاي، جميل، لقد بدأت المياه في الغليان، صب الماء في الأكواب، ثم أخذ الصينية واتجه بها ببطء ناحية غرفة الصالون.

- أهلاً بالعروسة، تعالي يا شابة لا تخافي، تعالي اجلسي بجانب حماتك!

أطلق (حامد) تلك الكلمات وانفجر ضاحكًا عليها.

- اتركه يا (حامد)، فيبدو أنه خجول، (تعالي سلمي على عريسك).

رد (أحمد) بتلك العبارة على عبارة (حامد)، فانفجر الجميع في الضحك حتى (يوسف) نفسه، وكاد أن يوقع صينية الشاي على أحدهم لولا أن الآخر هرب من الخوف.

جلس الجميع على مقاعد الصالون وفي يد كل منهم كوب الشاي.

***

– حان الوقت لنتكلم بجدية عن تلك المخطوطة، وسنحاول جميعًا أن نجمع خيوطها في أيدينا لنعرف نهاية تلك المخطوطة.

قال (يوسف) العبارة السابقة وهو ينظر في وجوه أصدقائه ويتفحص نظراتهم.

فرد علية (محمود):

– أعتقد أن مصطفى أبلغك برأي أحد أساتذة القسم عندنا!

فنظر الجميع باتجاه (محمود) بدهشة وهم ينتظرون أن يكمل..

فقال (يوسف):

– نعم أخبرني، ولكن يجب أن نحلل الموضوع بهدوء منذ البداية، ونعرض جميع الآراء حتى نصل لرأي أستاذ القسم.

فرد (إسلام):

– إذن قم بسرد الموضوع كيفما تريد، ولكن لي عندك طلب، أريد أن أرى المخطوطة..

فنهض (يوسف) متجهًا إلى غرفة نومه، ثم عاد وفي يده المخطوطة، تلقفتها الأيدي بلهفة وهم يلمسونها وينظرون لها مرارًا، ويتشممونها،و كأنهم بتلك الطريقة سيعرفون إن كانت أصلية أم لا.

- هل تأكدتم الآن من امتلاكي للمخطوطة؟

وكان الرد لـ (مصطفى) و(محمود) وهما يهزان رأسيهما مبتسمين، أما الباقون فقد اكتفوا بالنظر للمخطوطة التي وضعوها بجانب الكمبيوتر.

- والآن لنتكلم منذ البداية، لقد ذهبت لسور الأزبكية مع (أحمد عادل) أحد القاطنين بشارعنا، وهناك وجدنا دكانًا صغيرًا اشترينا منه بضع ورقات، وعدت بها أنا إلى المنزل، وبعد أن قرأتها بحثت في شبكة اللإنترنت عن أي شيء عن القصة الموجودة في الورق الذي اشتريته.

وكانت المفاجأة هي أنني وجدت معلومات في أكثر من موضوع على الإنترنت عن حكاية (ابن إسحاق)، الذي سافر إلى مصر وفي طريقه وجد مدينة أطلق عليها في كتابه (كنز الرحلة) اسم (مدينه الموتى)، وكل من في المدينة موتى لسبب لا يعلمه إلا الله، وفجأة يقابل رجلاً يدعى (محمد السالمي)، وقال له الرجل إنه اللحاد، ثم يدعوه اللحاد للمبيت معه ويحكي له حكاية غريبة، عن ساحر أتى للبلدة، وطلب أربعة من الرجال الفقراء ليجعلهم أغنياء، وتقدم له الرجال الأربعة، ودخلوا دار الساحر ولكنهم خرجوا وهم أغنياء، ولم يخرج معهم الساحر، ثم يموت أولهم بعد سبعة أيام بعد أن يشكوا من أعراض كثيرة، كالحلم المزعج وأعراض أخرى غريبة، ويموت الثاني

بعد سبعة أيام أيضًا، ويموت الثالث بعد نفس المدة، وكلهم بنفس الأعراض والتوقيت وطريقة الموت، ثم يهرب الرابع ولا يعرف أحد مكانه، وبعد سبع ليالٍ يصيب البلدة مرض غريب يجعلهم يموتون كالذباب، ولم يبقَ منهم على قول اللحاد إلا هو.

وبعد أن ماتت البلدة بالكامل تم دفنهم، إلى هنا ينتهي اللحاد من سرد قصته لابن إسحاق، ثم يدعو (ابن إسحاق) إلى النوم في منزله حتى الصباح، يستيقظ (ابن إسحاق) ولا يجد اللحاد في الدار، ولكنه يجد ورقتين كتبهما اللحاد قبل رحيله الغريب، والورقتان شرح فيهما اللحاد ما حدث للرجال الأربعة داخل دار الساحر، وفي داخل الورقتين الكلمات التي نطقها الساحر لاستدعاء أحد مردة الجان الذي سيجعل الفقراء الأربعة أغنياء.

في نهاية الورقتين يدعو اللحاد (ابن إسحاق) للذهاب لمقابر البلدة لقراءة الفاتحة على روح أهلها الأموات.

ويذهب (ابن إسحاق) إلى المقابر ليجد مفاجأة تنتظره هناك. هناك قبر مكتوب عليه اسم لحاد البلدة، أي إن الشخص الذي كان يحدثه كان شخصًا ميتًا منذ سنوات!!

ويهرب (ابن إسحاق) ويعود للقاهرة، ثم يكتب تلك الحكاية في كتابه (كنز الرحلة)، والذي يُحرق مع كتابه (غواص اللؤلؤ) بعد أن اعتقد الناس أن (ابن إسحاق) يشتغل بالسحر، ويظهر على مسرح الأحداث تلميذ لابن إسحاق يدعى (عبد الرحمن بن إبراهيم)، وهو الذي نقل عن كتاب (كنز الرحلة) رحلته الغريبة إلى مصر في بضع

وريقات، والتي أعتقد أنها هي تلك الوريقات التي هي معي الآن بطريقة لا أفهمها!

هذه هي المعلومات التي جمعتها من خلال الورق الذي اشتريته من خلال الإنترنت، ثم ذهبت للجامعة لأخذ مشورتكم، واتفقت مع (مصطفى) و(محمود) ليسألا أحد أساتذة قسم التاريخ في موضوع حقيقة تلك الحكاية التي تُروى عن (ابن إسحاق)، وفي نفس الوقت ذهبت أنا إلى سور الأزبكية للبحث عن الشخص الذي باعني المخطوطة، لأجد مفاجأة غير متوقعة تنتظرني، وأرجو أن تصدقوني.

لقد وجدت مكان الكشك الذي اشتريت منه الورق أرضًا خالية بها شجرة مزروعة!!! وعندما سألت الكشك المجاور له، ووصفت العجوز الذي باع لي الورق، قال لي الرجل الذي يقف في الكشك إن هناك رجلاً عجوزًا بهذه المواصفات، وكان له كشك مجاور في المنطقة الخالية الآن، لكنه مات منذ سبعة عشر عامًا.

انطلقت سبة بذيئة من فم (حامد)، وقال (إسلام) بغضب:

– هل تمزح معنا؟!

– أقسم بالله أنا لا أمزح، يمكنكم التأكد من صديقي الذي رافقني لسور الأزبكية، ويمكنكم السؤال في سور الأزبكية عن شخص يدعى عم (صبحي) مات منذ سبعة عشر عامًا.

رد (محمود) بتهكم:

- إنك الآن تصف قصة رعب، وربما كان بطلها أنت، تكلم بكلام عاقل!

- دعني أكمل واتهمني كما تريد.

- أكمل.

- عندما عدت لمنزلي في تلك الليلة التي زرت فيها سور الأزبكية، ظللت أفكر هل أنا قد جننت، أم أن ما حدث كان صحيحًا؟ إلى أن نمت وحلمت بكابوس رهيب، حلمت أنني أقف أمام مقعد كبير مطعم بالذهب، وهناك أربعة رجال مكبلين بالقيود أمامي، والرجال الأربعة بدأت أجسادهم تذوب من حرارة لا أدري من أين تأتي..

وقبل أن يكمل (يوسف) الحلم تكهرب الجو..

لقد رأى النظرة على وجوه أصدقائه تتبدل إلى الشك، ثم الفزع، ولم يكن استنتاج ذلك عسيرًا عليه.

فقال (يوسف):

- سأقول استنتاجًا أرجو أن أكون قد وُفقت فيه، أعتقد أن كل شخص منكم حلم بهذا الكابوس أول أمس حوالي الساعة الثانية بعد منتصف الليل!

هنا قام (حامد) و(أحمد) من مكانهما وهما ينظران بذهول إلى (يوسف)، أما الباقون فظلوا ينظرون لبعضهم بدهشة وهم فاغرو الأفواه لا يدرون ماذا يقولون.

- لقد حلمت أول أمس بكابوس رهيب، أنني أقف على يابسة في المياه وأمامي أربعة رجال مكبلين من أيديهم وأرجلهم بالسلاسل، ووجوههم تذوب بفعل السخونة التي لم أعلم مصدرها، وفي نهاية الكابوس ذاب جسدي من السخونة مثلهم!

***

- لم يكن حلمًا بل كان كابوسًا، لقد رأيت نفسي وأنا أقف على جزيرة في وسط الماء، وهناك مقعد تحيط به النيران، ويقف أمامه أربعة رجال مكبلين بالسلاسل، وفجأة ذاب جلد الرجال الأربعة، ثم رأيت نفسي أذوب أنا الأخرى مثلهم، وعندما استيقظت وجدت جسدي ساخنًا كأنه خرج من الموقد منذ قليل، (يوسف) هل أنت معي؟!! لماذا لا أسمع سوى صوت أنفاسك؟ هل ضايقك كلامي يا حبيبي؟

***

المشهد الذي يدور الآن في شقة (يوسف) يصعب علينا وصفه، الأصدقاء الخمسة في حاله اندهاش كبيرة، وكان الصمت هو السيد في تلك اللحظات، هنا قطع (إسلام) الصمت قائلاً بذهول:

- لقد بدأت أفقد القدرة على التركيز، أرجو أن توضح لي كيف حلمنا جميعًا بنفس الحلم وفي نفس الوقت؟!

- أنا نفسي لا أعلم كيف!! ولكن أعتقد أن الموضوع الآن ليس أكذوبة كما يعتقد البعض!

تحركت عين (حامد) ناحية (يوسف) بدهشة، وهو يقول:

– لكني أقسم أني لم أخبر أحدًا بذلك الكابوس.. كيف علمت؟!

– قلت لك إنني استنتجت!

– وكيف استنتجت؟!

– لأن (حبيبة) زميلتي في الجامعة قد أخبرتها عن المخطوطة منذ أيام، وقد قالت لي اليوم إنها حلمت حلم كذا وكذا، وكانت تصف نفس الحلم، وعندما رويت لكم الحلم ووجدت على وجوهكم الفزع، فاستنتجت أنكم رأيتم نفس الحلم في نفس التوقيت!

– وكان استنتاجك صحيحًا للأسف!

كانت هذه من (أحمد)، الذي أكمل قائلاً:

– هل تعرف.. قبل أن نأتي إلى هنا أنا و(إسلام)، كنت أشكو له من ذلك الكابوس المزعج، لأفاجأ به يقول إنه حلم بنفس الكابوس!! وكان الموضوع سيظل سرًا بيننا حتى لا يتهمنا البعض بالكذب أو بالخبال، لكنك تأتي لتقول إنك حلمت نفس الحلم، بل وجميعنا حلمنا بنفس الشيء، هذا هو الجنون بحق!!

في حين قال (مصطفى):

– لقد حلمت بهذا الكابوس، ولكني كتمته في نفسي كي لا يتهمني أحد ما بأنني واسع الخيال، أو أنني تأثرت بالكلام الذي رواه لنا (يوسف) عن الأربعة الذين تكلم عنهم (ابن إسحاق)!!

وقف (يوسف) وهو يقول:

– ببساطة يا شباب.. الأمر الذي نواجهه الآن هو أمر خارج على القوانين الطبيعية، وجاءت الصدفة التي جعلتني أقابل أنا و(أحمد) شابًا يدعى (عماد)، هو خال (أحمد)، وقد أفادنا كثيرًا، حيث عرض علينا مجموعة من الكتب والمراجع التي تكلمت عن مخطوطة ابن إسحاق وعن أن هناك مؤرخين قد تكلموا عنها باستفاضة، ولكن لم يصل إلينا إلا القليل، وطوال فترة اختفائها يعتقد أنها كانت ميراثًا لإحدى عائلات الصعيد، يتوارثها الأبناء عن الآباء حتى وصلت لنا بمحض الصدفة.

هنا نظر (إسلام) إلى (أحمد) وهو يقول له:

– لماذا لم تخبرني من قبل؟

– فضلت الانتظار حتى يصل خالي إلى شيء ما بخصوص تلك المخطوطة، فلقد تركنا له نسخة ليحللها ويترجم الكلمات التي تحتويها.

هنا أكمل (يوسف) بسرعة قائلاً:

– ولأنني أحسست بأنني أحتاج إلى مشورة من هو أقدر مني، فقد توجهت في نفس اليوم الذي قابلت فيه (عماد) إلى الشيخ (محمد) إمام المسجد القريب.

هنا نظر (مصطفى) و(محمود) لبعضهما كي يعرفا من هو هذا الشيخ، فقال (إسلام):

- أنا أعرف الشيخ (محمد عبد الفتاح) جيدًا، أليس هو الذي يقطن قرب محطة البنزين؟!

- نعم هو بالضبط.

ثم أكمل (يوسف) قائلاً:

- ذهبت له للمسجد لأحدثه عن بعض قضايا الجن، ثم ذهبت معه لمنزله وتكلمنا كثيرًا، وشرح لي الكثير والكثير عن عالم الجن وقوانينه واتصاله بعالم البشر، وفهمت على يده الكثير والكثير، ويبدو أنه قد جُرت أقدامنا في مسألة أقوى منا بمراحل، وأعتقد صدقًا أن تلك المخطوطة هي مفتاح لعالم الجن، أو إذا أردنا التحديد هي مفتاح لبوابات معينة في عالم الجن لم نكوّن فكرة كاملة عنها!

سكت الجميع لحظات بعد انتهاء كلمات (يوسف)، حتى تكلم (إسلام) وقال:

- أعتقد أنني كوّنت فكرة لا بأس بها عن الموضوع من كلام (يوسف)، وأعتقد أنه يمكنني تحليل بضعة أمور:

أولاً: نحن نمتلك المخطوطة، ونمتلك أيضًا شهادة صديق (يوسف) الذي رافقه لسور الأزبكية، ونمتلك وصفًا للكشك والرجل الذي اشترى منه المخطوطة، إذن فذلك يعني أن (يوسف) قد اشترى المخطوطة بالفعل من المكان الذي وصفه، ولكن باكتشاف (يوسف) ألا وجود للكشك في ذلك المكان وأن الرجل الذي وصفه لصاحب الكشك المجاور قد مات منذ سبعة عشر عامًا، ذلك يعني أن (يوسف)

قد قابل رجلاً ميتًا!!! وهذا الرجل الميت قد باعه مخطوطة نادرة جدًا كما تقول المعلومات.

ثانيًا: (يوسف) لم يخبر أحدًا عن المخطوطة إلا وقد جاءه نفس الكابوس في نفس التوقيت تقريبًا!! (محمود)، (أنا)، (مصطفى)، (أحمد)، (حامد)، (حبيبة)، كلنا نشترك في شيء واحد، أن (يوسف) قد حكى لنا عن حكاية تلك المخطوطة.

إذن تلك تُعتبر رسالة لنا جميعًا، رسالة لا أعتقد أنني أعرف حل شفرهًا!!

هنا قطع (يوسف) كلام (إسلام) قائلاً:

- هناك سؤال نسيت أن أسألكم إياه، هل حلم أحد منكم أمس بحلم غريب؟!

- لا.

- لا.

- لا.

- لا أذكر.

- وأنا أيضًا.

جاءت تلك الإجابات من أصدقاء (يوسف) لتعلن بوضوح أن الحلم الأخير الذي حلم به أمس لم يره غيره!

- لماذا تسأل، هل حلمت أنت بشيء؟!

وهنا روى لهم (يوسف) الحلم كاملاً، ثم ذهب ليأتي بورقة ليخط عليها الأسماء التي سمعها في حلمه، والأسماء التي تشابهت معها في المخطوطة، حتى نظر الجميع له وهم يسألون بنظراتهم ماذا يعني كل هذا؟!

هنا تكلم (يوسف):

– للأسف أنا لم أفلح بعد في الربط بين كل هذه الأشياء، ولكن تظل هناك أسئلة بلا أجوبة! مثل أن المخطوطة لم تذكر كيف هرب الرجل الرابع، وهل مات بنفس الطريقة التي مات بها الثلاثة أم نجا؟ وهل كان خروجه من البلدة سببًا في موت أهلها؟ ثم لماذا يموت الرجال أصلاً بعد أن أصبحوا أغنياء؟

تنحنح (مصطفى) ثم قال في إحراج:

– لا تنسَ رأي أستاذ التاريخ عندما قال لا وجود لتلك المخطوطة يا (يوسف).

فقال (إسلام):

– ماذا؟!

فرد عليه (محمود) قائلاً:

– أعتقد أن المخطوطة مليئة بالثغرات، هذا غير أن الحكايات التي كُتبت عنها على الإنترنت كلها تتحدث عن المخطوطة على اعتبار أنها أسطورة، ثم يأتي رأي أحد كبار أساتذة التاريخ الإسلامي في قسمنا لينفي كل وجود لتلك المخطوطة.

هنا نظر (يوسف) إلى (محمود) و(مصطفى) وهو يقول:

– وماذا عن الكوابيس، والرجل الميت، والكثير من الأشياء التي تحيط بالمخطوطة.

– لا أعلم، ولكني مقتنع .بدم وجود تلك المخطوطة.

أمسك (يوسف) بالمخطوطة، ثم نظر إلى وجوه أصدقائه وقال:

– استمعوا لي، لقد نويت أن أترك تلك المخطوطة لأي شخص يريدها منكم، فأنا قد ثقل عليّ حملها، ومن يريدها يأخذها ويفعل بها ما يشاء، يحرقها أو يبيعها أو يدمرها، لا أريدها بعد الآن.

كان سكوت أصدقائه دلالة على رفضهم لامتلاك تلك المخطوطة، ولكن (إسلام) مد يده ناحية (يوسف) قائلاً:

– سأحتفظ بها يا (يوسف)، ولكن لبحثها وليس للذكرى.

– وأنا موافق.. تفضل.

سلم (يوسف) الورق لـ (إسلام).

– ولكن هل توجد نسخة أخرى لها؟

– بالطبع لم أنسَ ذلك؛ لقد أدخلتها على جهاز الكومبيوتر الخاص بي عن طريق الماسح الضوئي، وهناك نسخة مطبوعة عن طريق الكمبيوتر في منزل (عماد) ليحللها، هذا غير أني خططت في ورق خارجي نص المخطوطة نفسها، لتكون تحت يدي إذا فقدت المخطوطة الأصلية.

هنا قال (مصطفى) بعناد:

– أمازلتم تعتقدون في صحتها!!

– نعم يا مصطفى مازلنا نعتقد، أو على أقل تقدير نحترمها.

"أبويا اتحرق هيييييه، ولا يا منصور.. أيوة يــا مرســي.. مبروك ياد.. الله يخليك يا سيدي عقبال والدك يا سيدي.. في حياتك إن شاء الله".

خرجت العبارة السابقة من هاتف (إسلام) المحمول، فأمسكه سريعًا ليرد قائلاً:

ألو.. نعم، أنا عند صديقي الآن، لا يمكن أن آتي، ماذا؟! دقائق وأكون في المنزل!

نهض (إسلام) بعد أن أنهى المكالمة وعلى وجهه علامات القلق:

– أعتذر يا جماعة، إنهم يحتاجون لي في المنزل الآن لظرف هام!

فنهض الجميع قلقين مثله:

– خيرًا، ماذا حدث؟

– لا عليكم يا شباب، إنها شقيقتي تقول بأنها تحتاجني حــالاً في المنزل لتعطيني شيئًا، سأذهب الآن، ولنتقابل غدًا في الكلية.

حياه الجميع، ثم أوصله (يوسف) لباب الشقة، ولم ينسَ أن يعطيه المخطوطة في يده قبل أن يرحل.

***

عاد يوسف مرة أخرى إلى أصدقائه، وظل يفكر وهو جالس بجانبهم في تطور موضوع المخطوطة، وكيف أن الشيخ علم الليلة بكل شيء عن المخطوطة، فهل سيحلم هو أيضًا بالكابوس كالبقية أم ماذا؟ لقد أعطى المخطوطة لـ (إسلام) وهو يشعر بأن الهم قد انزاح عندما تخلص منها، لكنه مازال يشعر بالغيظ الشديد، الغيظ من أنه عاجز عن تفسير أي شيء من الأشياء التي يراها حوله، لقد أخفى بعض التفاصيل الصغيرة التي لم يفهم لم لم يذكرها لأصدقائه!! ولم يذكر مقابلته الثانية مع الشيخ، التي أخبره فيها بكل شيء لسبب لا يعلمه، ولا بعض التفاصيل الأخرى في المخطوطة.

- (يوسف)، هناك كلمات ترددت بصوت جهوري في الحلم الذي رأيته، هل ترددت تلك الكلمات في حلمك أنت أيضًا؟!

كانت تلك من (حامد) وهو ينظر إلى (يوسف).

فاعتدل (يوسف) ببطء وهو ينظر له مفكرًا ويقول:

- نعم ترددت في حلمي، وأعتقد أنها أيضًا ترددت في حلم الباقين.

فوافقه الباقون بإيماءة منهم.

- إن تلك الكلمات هي الكلمات التي ذُكرت في المخطوطة، عندما نطقها الفقراء الأربعة ليحضر خادم الجن ليجعلهم أغنياء.

هنا قال (محمود) وهو يبتسم:

- ولكن كل هذه الأشياء خرافات برغم كل شيء.

فنظر له (مصطفى) وقال وهو يهز رأسه بالموافقة:

– أوافقك يا (محمود)، فتلك الحكاية بُنيت من أصلها على خرافة قديمة، وهي خرافة تسخير الجن.

فقال (يوسف) بهدوء:

– ولكني مؤمن بإمكانية تسخير الجان، ومؤمن بإمكانية تأثير الجان في حياتنا.

قهقه (حامد) ضاحكًا وهو يقول:

– إن السحر والجان والعفاريت كلها خرافات، فلو كان هناك تأثير للجان لظهر في حياتنا منذ زمن، ليس معنى أننا وجدنا ورقًا يتحدث عن جانٍ وعفاريت أنهم موجودون بالفعل، لقد بدأت الآن أؤمن أن تلك المخطوطة ليس لها أساس من الصحة.

ظهر الغضب على وجهه (يوسف) وهو ينظر إلى أصدقائه:

– اسمعوني، كل ما أبحث عنه هو صدق هذه المخطوطة، ربما تكون صادقة وربما تكون كاذبة، لكني واثق أن الموضوع خارج عن النطاق الطبيعي، ما تفسيركم للأحلام التي راودتنا جميعًا؟

فقال (محمود):

– قرأت أنه ربما يكون هناك اتصال عقلي بين شخصين أو أكثر، ربما كان هذا أحد أنواع الاتصال العقلي بيننا.

- محاولة تفسير فاشلة، فلماذا يكون الاتصال العقلي بين من أخبرهم عن المخطوطة فقط؟

- لا أعرف، لكني لا أقبل التكلم في موضوع العفاريت هذا، ولا تقنعني أنني إذا رددت تلك الكلمات سأسخر الجن، فهذا ما لا يُعقل!

هنا قال (حامد) ساخرًا:

- فيدعاهاط موسماعل بق حتى إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه.. عفركوش عفركوش خش عليه خش عليه.. غريبة!! لم يأتني أحد من الجن!

فرد (يوسف) غاضبًا:

- كفاك سخرية، أنت لا تعرف قيمة ما تقول!

- بل أعرف أن تلك الكلمات بلا قيمة، ما رأيك لو رددها لك كلها لأثبت لك أنها بلا فائدة، كم ستعطيني؟!

فقال (مصطفى):

- تعقل يا (حامد)، هذا ليس ميدانًا للمبارزة!

- أعرف، لكني متأكد من موقفي، ولن يزحزح موقفي شيء.

كانت نبرات التحدي في صوت (حامد) واضحة للكل، ولكن لم يجرؤ أن يعترض عليه أحد من أصدقاء (يوسف) لأنهم كانوا مؤمنين بكلامه.. لكن (يوسف) هو من نطق.

– يبدو يا (حامد) أنك متمسك برأيك والذي هـو رأي بـاقي الشباب، وأنا أريد أن أثبت لكم أن المخطوطة ربما تكون صحيحة ولو 1%، وأنت تريد أن تقول إن الكلمات التي بها هي خرافة، ربما كنت على صواب، ولكن تظل الحقيقة مجهولة لنا جميعًا، لأنه لا توجد طريقة للإثبات.

فرد (حامد) سريعًا:

– بل توجد طريقة للإثبات.

هنا نظر (يوسف) إلى عين (حامد) بشك قائلاً:

– وما هي؟!

– لو ثبتت صحة الكلمات الموجودة في المخطوطة والتي تُسخر الجن، لأمكننا إثبات صدق باقي حكاية المخطوطة، أما لو أثبتت فشلها.. لأثبتنا كذب حكاية المخطوطة!

– وضح مقصدك؟!

– سنفعل كما فعل الساحر مع الفقراء الأربعة، سنقول الكلمات التي رددوها، ولو حدث شيء تكون المخطوطة صحيحة، ولو لم يحدث شيء ينتهي موضوعها وتصبح خرافة أخرى.

كانت نظرات الدهشة تحيط به من أصدقائه وهو يذكر اقتراحه.

– أسلوبك هذا يذكرني بالشخص الذي يفجر قنبلة للتأكد من صلاحيتها للاستعمال!!

كانت تلك العبارة من (مصطفى).

- نعم، ولكنك مؤمن معي بأن القنبلة لن تنفجر، فلماذا لا أُثبت للجميع أنها قنبلة مزيفة؟

جاء صوت (يوسف) وكأنه يأتي من بئر سحيق:

- موافق!

فقال (محمود) مستنكرًا:

- لا يمكن أن أوافق على هذه التخاريف!

فرد عليه (يوسف) وقد ظهرت عليه علامات الهدوء:

- ألست مؤمنًا أن تلك الكلمات لا تنفع ولا تضر ،إذن فلتجرب، فلن يأخذ الموضوع منك سوى بضع دقائق.

ساد الصمت بضع ثوانٍ حتى قطعه (يوسف) وهو ينهض ليحضر ورقًا من مكتبه، وجلس أمام عيونهم الصامتة وهو ينقل من نص المخطوطة في يده - والذي نقله قبل أن يعطي المخطوطة لإسلام - في كل ورقة نفس العبارات.

- ماذا تفعل؟!

- ألا تريدون التجربة، في المخطوطة جلس أربعة أفراد حول شمعة ليرددوا كلمات حفظوها، لذلك كتبت تلك الكلمات التي رددوها على أربع قطع من الورق لتمسكوها جميعًا وتقرأوها في نفس الوقت، فلا وقت للحفظ.

أنهى (يوسف) كتابة الورق، ثم أعطى لكل منهم ورقة في يده، وطلب منهم الاطلاع عليها.

- وأنت هل ستردد معنا نفس الكلمات؟

فرد (يوسف) مبتسمًا:

- لا، إن دوري أن أجلس بعيدًا عنكم وأراقبكم.

كان (أحمد) يجلس يراقب الموقف بحكمة وهو لا ينطق بشيء، ثم قال فجأة في تلك اللحظة:

- (يوسف)، لا يمكن أن نلعب بالنار، تلك الكلمات في الغالب حقيقية، وربما تؤذينا جميعًا وتكون نهايتنا على يدها!

توقف (يوسف) لحظة وهو يفكر وقد بدأت عليه إمارات الارتباك، ولكن صوت (حامد) ارتفع متحديًا إياه وهو يقول:

- لو كنت لا تريد التجربة وخائف من تلك الخرافات فذلك شأنك، لكنك لن تقنعني وقتها بأي شيء من تلك التخاريف يا صديقي الحبيب.

نظر (يوسف) إلى (حامد) وقد احمر وجهه من الغضب، فقال (أحمد):

- هيا ياشباب، ماذا تفعلون؟ هل أنتم أطفال تريدون العراك بسبب حلوى؟!

– لا يا (أحمد)، لكني لن أقتنع بأي من آرائكم عن المخطوطة أو حتى كلام عمك أو خالك، أيًا كان يا (أحمد)، أو حتى كلام الشيخ الذي تحدث معه (يوسف).

هنا وصل (أحمد) و(يوسف) لقمة الغضب، حتى قال (يوسف):

– سنثبت لك أنها حقيقية، والآن!

فقال (محمود) متأففًا:

– إذن هيا بنا نبدأ!

فقاطعه (يوسف) قائلاً:

– لا.. يجب أن نُظلم المكان ثم نُشعل شمعة صغيرة في وسطكم، وتوزيع المقاعد في الصالون هنا لا يتيح لأربعة أن يجلسوا حول شمعة، سنضطر للصعود للطابق الخامس في الشقة التي كنا نذاكر فيها قديمًا.

هنا قال (حامد) مستنكرًا:

– يا سلام!! وما الذي يجبرني على فعل هذا كله؟

– إيمانك يا صديقي، يجب أن تدافع عما تؤمن به، أليس كذلك؟

نهض (يوسف) وهو يعدل هندامه وينظر إلى الساعة التي قاربت على الحادية عشرة، ويقول:

– سنصعد الآن ولا أريد إزعاجًا، حتى لا يلاحظ أقاربي شيئًا، والآن هيا بنا.

وقبل أن يصعد الجميع أخذ (يوسف) الورق الذي نقل فيه نص المخطوطة التي أعطاها لـ (إسلام)، ولكن أثناء صعودهم السلم جاء خاطر بسيط للحظة في عقل (يوسف).

(لقد ذكر (حامد) بسخرية كلمات من المخطوطة؟ ولكن كيف قرأ حامد تلك الكلمات ومتى حفظها وهو يعلم جيدًا أنه لم يرَ المخطوطة إلا الليلة؟ وحتى لم يشاهد الكلمات إلى الآن!!! فكيف ذكر تلك الكلمات!!!).

ولكن ذلك الخاطر سرعان ما تبخر من عقله.

15

الليلة سأنهي كل شيء

الساعة العاشرة والنصف بمنزل (حامد):

1/22

نحن الآن في غرفة نوم (حامد)، ونـرى الآن والدتـه وأشـقاءه متحلقين حول الفراش، يا ترى من يستلقي على الفراش؟!

إنه (حامد)!! يجلس على الفراش وقد وُضعت قدمه اليمنى في الجبس، ويمسك هاتفه المحمول ويبدو أنه يطلب رقمًا.

- مستحيل ذلك الذي يحدث!! جميع هواتف الشلة مغلقة؟ وحتى هاتف منزل (يوسف) مرفوع مؤقتًا من الخدمة؟

كانت تلك العبارة من (حامد) وعلامات الغضب بادية على وجهه، فردت عليه شقيقته قائلة:

- اهدأ، ربما سقطت الشبكة في المنطقة التي يجلس بها (يوسف)، ثم لم تشغل بالك حتى الآن، بالتأكيد هم يعرفون أنــك في ظــروف خاصة طالما لم تذهب لمترل (يوسف) الليلة!

- لكني كنت أريد الاعتذار عن عدم ذهابي اليوم بسبب كــسر قدمي أثناء نزولي على السلم، والغريب أنه لم يطلبني أحد على هاتفي ليستفسروا عن غيابي، وكأنني حضرت لقاء اليوم وأجلــس معهــم الآن! .

الساعة الحادية عشرة بمنزل (يوسف)

(الدور الخامس)

1/22

الأصدقاء الخمسة يرتقون درجات السلم بهدوء لكي لا يثيروا جلبة في باقي المنزل، وكان (يوسف) هو من يتقدمهم، حتى وصلوا إلى الطابق الخامس، فأخرج (يوسف) من جيبه سلسلة المفاتيح ثم انتقى مفتاح شقة الطابق الخامس، ودسه في ثقب الباب ليفتحه.

يا لها من رائحة عطن تهب عليك عند فتح باب الشقة، رائحة تكونت من عدم الاهتمام بتنظيفها إلا كل بضعه شهور، هذا غير أن (يوسف) لم يكن يصعد إليها إلا لمامًا بعد أن انتهى من دراسته الثانوية.

الشقة تأخذ الطابق الخامس بالكامل، عند دخولك من الباب ستجد على يمينك أول غرفة في الشقة، والتي تُستعمل غالبًا للنوم، وعلى يسارك ستجد صالة واسعة.

الشقة مفروشة بالموكيت الخشن، أما الحوائط فهي مطلية بطبقة من الزيت، وفي وسط الصالة تجد منضدة بيضاء مربعة الجوانب كان

(يوسف) يستخدمها في المذاكرة قديمًا هو وزملاؤه، وحول المنضدة أربعة مقاعد من نفس لون المنضدة.

على أحد حوائط الصالة، وبالتحديد بالقرب من مكان المنضدة، تجد ساعة حمراء اللون، ساعة قديمة جدًا يتذكر (يوسف) أنها جاءت هدية من أحد أصدقاء والده.. ساعة حمراء اللون دائرية الشكل من النوع الذي يصدر ذلك الصوت الممل الرتيب للساعات القديمة..

تك تك تك تك تك تك تك تك تك تك تك تك

الشيء البغيض في تلك الساعة أن صوتها أعلى من المعتاد، فتجعلك تتضايق من صوتها المنتظم، بجانب الصالة سترى ممرًا (طرقة) واسعًا يفضي في نهايته إلى المطبخ والحمام.

تك.. زر الإضاءة، يضغط عليه لتبدأ مصابيح الكهرباء المعلقة في السقف في الإضاءة.. أربعة مصابيح من النيون تحاول الإضاءة مطلقة صوت (ززززززززز)، ثم تبدأ الإضاءة بهدوء حتى تضاء الصالة بالكامل بضوء أبيض جميل.

– سبحان الله، لم تتغير الشقة منذ أن كنا نقضي بها الليل أثناء الثانوية العامة.

أتت تلك العبارة من (أحمد) وهو يتأمل الشقة بعينيه، فرد عليه (يوسف) وهو يمسك منديلاً ورقيًا ويحاول أن يزيل الأتربة من على المقاعد:

- لم يهتم بها أحد بعد انتهاء الثانوية، وشقيقتي تخاف من المذاكرة فيها بمفردها، فتم هجر الشقة مؤقتًا، هل معك منديل؟!

- تفضل.

أخذ (يوسف) و(أحمد) و(مصطفى) يحاولون إزالة الأتربة من على المنضدة والمقاعد المحيطة بها، ثم دخل (يوسف) لغرفة النوم، ومنها دخل غرفة أخرى، ليحضر مقعدًا إضافيًا.

كان مقعدًا من المقاعد التي تُرص في الصالون، كان قديمًا لكنه صالح للاستعمال.

- هيا ماذا تنتظرون؟! اجلسوا على المقاعد التي تحيط بالمنضدة، أخ.. نسيت الشمعة، أعطوني دقائق وآتيكم بها.

قال (يوسف) تلك العبارة ثم نزل جريًا إلى الشقة ليحضر شمعة وعلبة ثقاب.

***

نعود مرة أخرى إلى (عماد)، والذي نطق الاسم ودخل في غيبوبة كالتي دخل بها آخر مرة، ولكن تلك الغيبوبة تختلف قليلاً عن الأولى، فهو يشعر أن عقله متيقظ بطريقة طبيعية، كأنه لم يدخل في الغيبوبة.. إنه يفكر أيضًا..

بدأت تتشكل أمامه صورة مهزوزة لشاب يقف وهو يعطي ظهره لشيء غريب لا يدري ما هو، لكنه يشبه الغوريلا من كثرة الشعر الذي يغطيه.

الكلمات تتردد باللغة الفارسية التي يفهمها جيدًا، إنه أحد أنواع العهود من الجن، لقد كان الكائن يطلب أشياء من الشاب باللغة الفارسية، وكان الشاب يوافق وهو يرتعش، وفي النهاية قال هذا الشيء عبارة ثم اختفى.

ما هذا!! لقد قال (عندما تحضر القرابين سنتقابل ثانية يا "ابن القصاب")

مخي سينفجر.. هذا هو الحي بن القصاب الساحر الفارسي الذي أتى للقرية المصرية.. قرابين؟

لقد كان هؤلاء الأربعة قرابين إذن؟ لقد فهم، لقد فهم..

الموضوع بدأت معالمه تتضح، انتظر لحظة ما هذا؟

هو الآن يرى نفسه يقف أمام عرش مطعم بالذهب على جزيرة في وسط الماء، والنار في كل مكان تشتعل وتخمد بانتظام.

ثم رأى أربعة رجال يسيرون وهم ينظرون إلى الأرض بحزن، ثم يقفون أمام العرش، هناك تشويش بسيط في الحلم لكنه يعتقد أنه رأى تلك الوجوه من قبل.

نعم.. نعم، هذا (أحمد) ابن شقيقته أحد الأربعة، يقف وهو حزين بينهم.

فجأة، ظهر (يوسف) من خلف الكرسي المطعم بالذهب وهو يسير ببطء، وخلفه يسير ثلاثة لا يتبين ملامحهم، إنهم الذين رآهم مع (يوسف) يتبعونه أينما كان!

تقدم (يوسف) ووقف أمام الأربعة، الحلم يتشوش وكأنه رؤية على صفحة من الماء، إنه.. إنه يختفي ببطء..

لا!!!

اكتملت الصورة..

اكتملت الصورة..

لقد علم ماذا يحدث.. عرفَ من هم القرابين!

عاد (عماد) إلى وعيه ببطء، فقام من على مكتبه وهو يردد مرارًا وتكرارًا:

– يجب أن أمنع القرابين من أن تُذبح، يجب أن أمنع القرابين من أن تُذبح!

توجه إلى الهاتف ليطلب منزل شقيقته، ردت عليه فقال لها بصوت عالٍ:

– ألو، أنا (عماد)، أخبريني بسرعة أين (أحمد)؟! ماذا؟ ذهب لمنزل صديقه (يوسف) ليقابل باقي أصدقائه؟! يالَلمصيبة!!

***

شقة (يوسف) الساعة الحادية عشرة والربع

1/22

والآن المشهد كالآتي:

(مصطفى) و(حامد) و(أحمد) و(محمود) يجلسون على المقاعد الأربعة البلاستيكية، والتي تلتف حول المنضدة، وفي وسط المنضدة ثبت (يوسف) شمعة كبيرة نوعًا ما، والضوء المنبعث منها يتراقص يمينًا ويسارًا، وكل من يجلس حول المنضدة يحمل في يده قصاصة الورق التي كتب فيها (يوسف) الكلمات.

أما (يوسف) نفسه فقد جلس على مقعد بعيد عن مكان المنضدة بخطوة أو اثنتين وقد أمسك بين يديه الورق المنقول فيه نص المخطوطة الأصلية، تكلم (يوسف) وعلامات القلق بدأت تظهر على وَجهه:

– شباب، لقد بدأت فرائصي ترتعد بحق، وبدأت أميل إلى أن نوقف ذلك الموضوع، ما رأيكم؟

رد عليه (حامد) مغتاظًا:

– بعد كل الترتيبات التي قمنا بها وتريد إنهاء الموضوع!!! لنقل الكلمتين وننزل لشقتك، فلن يحدث شيء!

وهنا قال (محمود):

- بالفعل أشعر بانقباض شديد جدًا، لكن أعتقد أن ذلك من تأثير خوفنا من المخطوطة ومن تأثير الجو النفسي، مثل الشمعة والشقة المهجورة، أعتقد أن الموضوع بالكامل خرافة، فلن يضيرنا أن نقول الكلمتين ونرحل، فلا خوف من الموضوع.

يبدو أن كلام (حامد) و(محمود) قد أثار روح التحدي في نفس (يوسف)، فهو لا يريد أن يظهر بمظهر الجبان الذي يخاف من لا شيء.

- إذن هيا، فلترددوا الكلمات في نفس التوقيت بصوتٍ واحد.

كانت تلك العبارة من (يوسف)، فأضاف (حامد):

- حاضر، سنبدأ القراءة، ولن ننسى أن علامة حضور عفركوش هو ارتفاع لهب الشمعة لسقف الشقة.

- اخرس وابدأ القراءة.

مرت لحظات صمت بسيطة نظر فيها الأصدقاء الأربعة لبعضهم، ثم بدأ الجميع القراءة بصوت عالٍ:

(سمامها طولام فقدشبينا يوهانيط سمسمائيل يصيفيدش أحرق كل من عصى أمرك بحق إصطفار ويوم عماخ وبحياة هليع بحق إصطفار ويوم عماخ وبحياة هليع).

هل تتذكرون الكهف الذي رأيناه من قبل؟ في لحظة قراءة الأصدقاء الأربعة للكلمات، وعند هذه النقطة نرى المشهد الآتي:

كانت هناك كلمات على فتحة الكهف من الخارج، تلك الكلمات تذوب الآن، تذوب وكأن هناك مادة حارقة تذيبها.

أما الكهف نفسه فقد بدأ يهتز من الخارج كأن هناك زلزالاً في تلك المنطقة، لا، لقد أخطأت، إن الصخور التي تحيط بالكهف هي التي تهتز فقط وتتزلزل من مكانها!

*

يا من تسمعون في وادي القرنيم، بحق سيدكم وبحق مقبلكم فكوا قيد ابن ذاعات فكوا قيد ابن ذاعات فكوا قيد ابن ذاعات..

*

عندما وصل الأصدقاء لتلك الكلمات ظهر شيء غريب!! شيء لن نراه بأعيننا نحن البشر، لكن ماذا لو أننا نرى بمنظور آخر، منظور شخص يرى عالم الجن وعالم البشر.

الهواء يتخلخل حول الأربعة الجالسين على المنضدة، وعند خروج الكلمات من حلوقهم فإن الهواء يتخلخل حولهم أكثر، أصوات صفير وكلمات تقال بسرعة رهيبة، كلمات لم تخرج من حلوق بشرية، عفاريت من الجن تتحرك في سرعة حول الأربعة، كل شخص من الجالسين على المنضدة يقف بجانبه نفر من الجن، ماعدا شخص واحد لا يقف بجانبه أي شيء.

أشكال الواقفين بجانب كل شخص مخيفة، عيونهم واسعة جدًا لدرجة أنها تأخذ نصف وجوههم، وقرونهم كبيرة جدًا، يقفون ولا يفعلون غير شيء واحد.

يرتعشون ويهزون رؤوسهم لأعلى وأسفل بلا انقطاع!!

(مازال الأصدقاء يكملون القراءة)

فيدعاهاط موسماعل بق حتى إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه شرطيائيل

*

نحن الآن في أحد الأودية الصحراوية التي يسكنها الجن..

(فيدعاهاط موسماعل بق حتى إذا أحضرتم أحرقكم المولى بحق وصيل مشموهوه شرطيائيل)

كان ذلك النداء السابق يتردد في الأودية وكأن له ذبذبة خاصة به!! بعد انتهاء النداء بدا كأن هناك بخارًا يتكاثف فوق رمال الأودية.. بخارًا أسود اللون، ثم بدأ البخار يتجسد ببطء ليُكوّن آلافًا من أفراد الجن يملأون الأودية وهم يفعلون شيئًا واحدًا..

يرتعشون ويهزون رؤوسهم لأعلى وأسفل بلا انقطاع!!

*

(مازال الأصدقاء يكملون القراءة)

موهوقمي نوخيشما بهدار مخلبي

*

هنا ارتفع صوت كأنه حيوان يُعذب!!! أو إذا أردنا الدقة لقلنا إنه حيوان جريح يزأر..

*

انتهي الأربعة من القراءة ليرتفع فجأة من خلفهم صوت (يوسف) وهو يردد من الورقة التي في يده:

أريقًا أريقًا فليقًا فليقًا حليفًا حليفًا، أتـــوني مـــستكين مـــستكين مستكين.. احضروا أينما تكونوا احضروا فإنكم محاطون به من كل جانب..

*

مازالت صخور الكهف تهتز مرة أخرى، ولكن دعونا نُلقي نظرة على الكهف من الداخل، وماذا يحدث به الآن:

هل تتذكرون السجين؟ لو تذكرنا السجين جيدًا لتذكرنا أن يديه مكبلة بالسلاسل والسلاسل منقوش عليها نقوش غريبة المنظر، الآن هذه النقوش تشتعل بها النار وتتغير ملامحها وتذوب نهائيًا.

السجين يقف والسلاسل التي تُكبل يديه تتكسر بسهولة وكأنهـــا الحبال.

السجين يبتسم بهدوء للحارسين اللذين يحرسانه وينظران له الآن برعب شديد، يبدو أن هذا السجين سيفتك بالحارسين بكل هـــدوء وبلا ضجة.

*

(مازال (يوسف) يكمل القراءة وسط دهشة أصدقائه)

سمسائيل الهوام يحاقوف المخلبي سمسائيل الهوام يحاقوف المخلبي
ارجعوا يا جنود المارد ارجعوا يا جنود المارد

*

حول الكهف وقف آلاف من أفراد الجن، يحيطون بالكهف ويصدرون من حلوقهم أصواتًا غريبة وكأنها نداء على شخص ما..

*

(مازال (يوسف) يكمل القراءة)

فكوم يا حليق فكوم يا حليق نخدام هاميم بحق سمسائيل أن تأتيني احضروا يا جنود المارد لتكونوا الجيش الأعظم الوحي الوحي العجل العجل الساعة الساعة احضروا بحق مخلبي..

وهنا انقطع التيار الكهربي عن الشقة.. ثم انطفأت الشمعة.

– أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أين أنت يا (يوسف)؟

– أنا جالس مكاني يا (أحمد)، لا تخف.

دارت هذه المحادثة وسط الظلام الذي ساد الشقة بعد انقطاع التيار الكهربي، ثم بدأ الجميع يستعيذون بالله من الشيطان الرجيم.

– أشعر بخوف شديد، فلتضئ الشمعة يا (يوسف).

فرد (يوسف) قائلاً:

- يبدو أنك نسيت أن علبة الثقاب بجانب الشمعة أمامك، هيا أضئ الشمعة!

أخذ (مصطفى) يتحسس المنضدة حتى وجد علبة الثقاب، فأخذ منها عودًا وبدأ في إشعاله، ثم قربه من الشمعة لتضيء المكان.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، إن الظلام أجمل بكثير، ما هذا الهول؟!!

***

(أحمد) يجلس على المنضدة والظلام يغلفه من كل جانب، كان (أحمد) يكره الظلام الدامس، حتى إنه دائمًا ما كان يُغلق عينه بمجرد أن ينقطع التيار الكهربي، فهو يخاف إذا فتح عينه أن يرى أشياء تتحرك في الظلام، ولذا فقد أغلقهما عند انقطاع التيار الكهربي.

ثم سمع (يوسف) يخبر (مصطفى) بأن يضيء الشمعة، فنظر باتجاه المنطقة التي يجلس فيها (مصطفى) منتظرًا إياه أن يُشعل الشمعة، لقد اشتعل عود الثقاب وأضاء الشمعة!

أين أصدقاؤه؟! المقاعد كلها خالية ولا أثر لأصدقائه، أين ذهبوا؟!

كانت صدمة على عقل (أحمد) لا يمكنه استيعابها، فهو يرى على ضوء الشمعة الذي منحه الكثير من الرؤية في ذلك الظلام أن المقاعد خاوية ولا أثر لأحد.

بدأ جسده يرتعش من الخوف، ماذا يحدث بالضبط؟ هل هذا مقلب مدبر له؟ ولكن كيف وهو كان قد سمع أصواتهم قبل اشتعال الشمعة، فكيف اختفوا في لحظة واحدة؟!

هنا سمع نقرًا يصدر من حوائط الشقة، نقرًا خفيفًا تكاد تميزه على أنه خرفشة وليس نقرًا، ثم زاد النقر أكثر فأكثر.

هل تذكرون عندما كنا نصف الشقة وقلنا إنه بجانب الصالة هناك ممر في آخره دورة المياه يجاورها المطبخ؟ (أحمد) الآن يسمع صـــوت باب دورة المياه يُفتح ببطء شديد كأن الهواء هو ما يحركـــه، كـــان صريره عاليًا جدًا وهو يُفتح ببطء، حتى توقف صوت الصرير، ربما لا نبالغ لو قلنا إن قلب (أحمد) قد توقف عندما رأى المشهد التالي:

من الطرقة الموصلة لدورة المياه خرج ثلاثة أشخاص وهم يتجهون ناحية المنضدة التي يجلس عليها، ثم وبكل هدوء جلس هؤلاء الثلاثة على المقاعد المواجهة لـــ (أحمد) ووجوههم يغلفها الظلام!!!

ولكن..

بمجرد جلوس الثلاثة على المقاعد أمام (أحمد) وقع ضوء الشمعة على وجوههم، فظهرت أشكالهم أمامه.

لم يملك إلا أن يطلق صرخة رهيبة من هول المشهد الذي يـــراه، أغمض عينيه وجسده يرتعش، وظل يطلق الصرخات والدموع تنهمر منه، إنه يتمنى الموت الآن.. يتمنى الموت لكي لا يرى تلك الوجـــوه البشعة وهي تنظر له وتبتسم.

هدأت صرخاته قليلاً، بعدها تغير صوته وتحول إلى نحيب وبكـــاء خافت، لا نلومه عندما شعر ببلل في سرواله من الخوف، وبعد دقيقة

من النحيب وهو مغمض العينين ينتظر الموت بدأ يفتح عينية ببطء ليرى أن الثلاثة مازالوا موجودين في أماكنهم وينظرون له بهدوء.

لم يمتلك إلا أن ينظر لهم بنصف عين، ظل يحاول النظر لهم من بين دموعه، حتى تكلم أحدهم.. كان الصوت يخرج منه بنبرات بطيئة وصوت يشبه الحشرجة:

– شكرًا لكم لمساعدتنا على الرجوع مرة أخرى، لن ننسى لكم هذا الجميل، سنتذكره دائمًا بعد رحيلكم!

توقف (أحمد) عن البكاء ووجهه ينطق بالدهشة، وهو يقول بصوت خرج بصعوبة:

- رحيلنا؟!

– نعم رحيلكم، ولكن لن ترحلوا بلا فائدة، فستصيرون أنتم القربان البشري الذي سيُقدم لسيدنا الأعظم.

ثم سكت قليلاً وأضاف:

– المخلبي بن ذاعات سيد جيوش الجن.

بدأت المرئيات في عين (أحمد) بالاهتزاز، وبدأ يفقد الرؤية شيئًا فشيئًا، ولكنه قال بصوت خرجت كلماته متقطعة:

– من أنتم؟!

- نحن حراس المخلبي بن ذاعات وخُدّامه الذين تفرقوا في الوديان، وقد حان وقت رجوعنا، أرجو ألا أكون فظًا، لكني أنصحك أن تنطق الشهادتين وتغمض عينيك.

نطق (أحمد) الشهادتين وهو يبكي، ثم أغمض عينيه..

رحمه الله.

***

(محمود) الآن يستمع لـ (يوسف) وهو يخبر (مصطفى) أن يمسك عود الثقاب ويشعل الشمعة، فانتظر حتى سمع عود الثقاب يحتك بالعلبة ثم تضاء الشمعة.

إنه يرى الآن (يوسف) جالسًا وهو يتلفت حوله برعب، أما (أحمد) فقد كان مغمض العينين وهو يرتجف ببطء.

أما مقعد (حامد) فقد كان خاليًا..

ولكن عندما نظر إلى (مصطفى) وجد مشهدًا غريبًا!!

لقد كان (مصطفى) يرتعش بجنون وهو يُحرك شفتيه بسرعة رهيبة وكأنه يحادث أكثر من شخص، أما عن حدقتي عينيه فقد كان هناك بياض تام يغلفهما!!

أطلق (محمود) شهقة وهو ينظر لـ (مصطفى) برعب، بينما قال (يوسف) بسرعة موجهًا كلامه له:

- ماذا يحدث لـ (مصطفى) يا (محمود)، أمسكه جيدًا كي لا يقع من على المقعد.

بالفعل كان (مصطفى) سيقع من على المقعد بسبب أن ارتعاش جسده قد زاد وبدأ المقعد يهتز بشدة.

نهض الأصدقاء الثلاثة بسرعة وهم يتجهون ناحية (مصطفى)، ويهزون جسده كي يفيق، بينما من حلقه بدأت تخرج كلمات سريعة غير مفهومة وجسده يهتز أكثر.. وفجأة هدأ جسده وعادت حدقتا عينيه للظهور مرة أخرى، ولكنه نظر هذه المرة لمن حوله وعلى وجهه ارتسمت نظرة حزن، ثم قال والدموع بدأت تذرف من عينيه:

- يا للهول! ماذا فعلنا.. أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.

ثم انتفض جسده فجأة ولمعت عيناه وكأنه يعاني، وخرج من حنجرته صوت حشرجة، ثم سكنت حركته تمامًا..

- لااا..

انطلقت تلك الكلمة من (محمود) وهو يهز (مصطفى) يمينًا ويسارًا ويحاول أن يكلمه.. بلا فائدة..

- لا تمت لا تمت، انتظر يا صاحبي، انتظر، ماذا رأيت؟ قل لي ماذا رأيت؟

خرجت الكلمات من (محمود) بغضب ممزوج بحزن وهو يهز صديقه بلا فائدة، حتى اضطر (يوسف) لإبعاده عن جسد (مصطفى) حتى يفحصه (أحمد).

حاول (أحمد) فحصه بوسائل بدائية، كأن يضع إصبعيه تحت فتحتي أنفه، أو يحاول قياس نبضه بأكثر من طريقة، ولكن المشكلة أن مظهر (مصطفى) كان يوحي بالموت منذ أن انتفض.

بدلاً من ملامح الحزن الذي من المتوقع أن تظهر على وجه (محمود) ظهرت ملامح الغضب الشديد، لقد كان أكثر الأصدقاء معاشرة لـ (مصطفى) منذ صغرهما حتى تلك اللحظة.. فقام وهو يصيح:

- من أنتم أيها الأغبياء، اظهروا لي، يا من قتلتم (مصطفى)، لماذا تفعلون ذلك؟!

كانت العبارة السابقة تنطلق من حلق (محمود) وهو ينظر حوله وعيناه تلتمع من الغضب.

أما (يوسف) كان عمليًا جدًا، فقد جرى ناحية باب الشقة ليفتحه، ولكنه فوجئ أن الباب لا يستجيب له!!

يحاول أن يدير مقبض الباب ولكن لا فائدة من ذلك.

في تلك اللحظة كان (محمود) قد بدأ يُخرّف بالكلام ويكلم أشخاصًا غير موجودين ويتحداهم، ولكن حدثت مفاجأة غير متوقعة!!

أضاءت أنوار الشقة كلها دفعة واحدة لتعمي عيونهم للحظات، ولكن تلك ليست المفاجأة، فالمفاجأة كانت أعنف.

على الحائط الذي يقف بجانبه (محمود) كُتبت كلمات بالدم بخط كبير مهزوز، تقول:

(أنت يا من تتحداني لا تتلفظ بما لا تعلم * فبحـق الله كنـت سأدعك لتعيش، لكنك مغرور وستموت لتلك الكلمات التي تفوهت بها)

قرأ (محمود) و(يوسف) و(أحمد) الكلمات التي على الجدار بعـد عودة الأنوار مرة أخرى للشقة، وبمجرد أن انتـهوا مـن القـراءة انطفأت الأضواء مرة أخرى، ولكن تلك المرة انطفأت الشمعة مـع انطفاء الأضواء، فساد الظلام الشقة.

ومن وسط الظلام ارتفعت صرخة رهيبة تشق الظلام، صرخة من يتعذب قبل أن يموت..

***

قال (يوسف) لـ (مصطفى):

- يبدو أنك نسيت أن علبة الثقاب بجانب الشمعة أمامك.. هيا أضئ الشمعة.

سمع (مصطفى) تلك العبارة فمد يده يتحسـس المنـضدة إلى أن وجد الثقاب، كانت يده تهتز من الخوف، ولكنه حاول التماسك، أين علبة الثقاب اللعينة؟!

لقد أمسكها أخيرًا، ليخرج أكثر من عود ليضيئها مرة واحـــدة، فقد كان يرى أمه تفعل ذلك لتضمن أن تشتعل شعلة كـــبيرة مـــن اجتماع أعواد الثقاب.

قرب الثقاب المشتعل من فتيل الشمعة لحظـــات بـــسيطة حـــتى أضاءت الشمعة، الضوء الجميل الذي يبعث نسبة من الاطمئنان على ذلك الجو الكئيب، كان (مصطفى) قبل انقطاع التيار الكهربي يجلس على المنضدة وعلى يمينه يجلس (أحمد) وعلى يساره يجلس (حامـــد) وأمامه (محمود)، أما (يوسف) فقد جلس بعيدًا..

أما عندما أضاءت الشمعة المكان مرة أخرى، فكـــان الترتيـــب واحدًا، ولكن هناك شيء لا يريحه في المشهد!

بمجرد أن نظر أمامه بعد إضاءة الشمعة وجـــد (محمـــود) وقـــد اتسعت عيناه برعب، أما (يوسف) فقد أصدر شهقة مـــن حلقـــه، العيون تنظر على يسار (مصطفى)، مما جعله ينظر باتجاه (حامد)، فهو الذي يجلس على يساره..

لا يوجد ما يريب، (حامد) يجلس كما هو، ربما تغير شكله بعض الشيء؟! أعتقد أن شعره قد استطال فجأة، وقد خرج مـــن جـــانبي رأسه قرنان صغيران، أما يداه فهي سوداء تمامًا تكـــاد تلمـــع مـــن السواد، وكذلك وجهه كان أسود تمامًا.. سوادًا يشبه الأبنوس، ربما أمكننا أن نقول إن عينيه قد اسودتا تمامًا، فلا وجود للقرنية، هذا ما ظهر على ضوء الشمعة.. ويبدو أنه كان كافيًا ليصرخ (مـــصطفى) ويقع هو ومقعده على الأرض.

ساد الهرج وجرى الجميع بعيدًا عن المنضدة، ولكن المشكلة أنهم بمجرد ابتعادهم عن المنضدة كانوا يدخلون في دائرة الظلام فلا يرون شيئًا، فيضطرون مرة أخرى للاقتراب من الضوء الذي تُرسله الشمعة التي فوق المنضدة التي يجلس عليها هذا المسخ هادئًا.

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أين (حامد)؟!

انطلقت تلك العبارة من فم (مصطفى) ونظره لا يفارق المسخ الجالس، وهو يحاول الابتعاد قدر الإمكان عنه..

تلك العيون السوداء لذلك المسخ ثابتة لا تتحرك، ولكن بمجرد نهاية جملة (مصطفى) تحرك وجه هذا الشيء لينظر لـ (مصطفى) ويقول بصوت (حامد) الأصلي:

- (حامد) يجلس الآن في بيته آمنًا، فلا تخف عليه!

- من أنت؟!

هل المسوخ تبتسم؟! ربما كانت التشققات التي ظهرت في وجه المسخ ابتسامة، وهو يقول:

- أنا (الغوال)!

كان جسد (مصطفى) يرتعش وهو يستمع لهذا الشيء ويحاوره، ولكنه اندهش من نطق هذا المسخ لكلمة (غوال)، فقال له:

- ماذا تعني؟!

- أنا الغوال من عشيرة الغيلان، كلفني سيدي بأن أتشكل لكم في شكل (حامد) وأجعلكم تنطقون كلمات رجوع الملك الأعظم المخلبي ليتحرر من قيوده، ولتحرروا جيشه وتجمعوه من الأودية والفلاة، وقد أتممت مهمتي وحان وقت رجوعي لقبيلتي.. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

انطفأت الشمعة بعد انتهاء كلمات الغوال وساد الظلام.

ولكن (مصطفى) شعر بشيء ثقيل يُطبق عليه، كأن هناك من يكتم أنفاسه، يحاول أن يأخذ شهيقًا ولكنه لا يستطيع، تنميل يصيب رأسه ويُدخله في غيبوبة.. لقد علم بشيء واحد قبل دخوله في الغيبوبة.. أن الحياة تنسحب منه.

***

- لا نعرف تحديدًا حدود قدرتهم، ولكن يمكننا بما رُوي لنا أن نحدد بعض الأشياء، مثلاً: يمكنه أن يؤثر بطريقة غير مفهومة لنا على مراكز عقلك، حيث يجعلك تشعر بأحاسيس وترى أشياء ليس لها وجود في الواقع، وربما تحكم في بعض مراكز الكلام والأعصاب في المخ، ويمكنه أيضًا أن يتشكل في أشكال البشر، أو أشكال الحيوانات، أو أشكال بعض الجمادات، فيمكنه التأثير في دنيا البشر بتلك الطريقة.

وبالطبع هناك طرق أخرى كثيرة لا يمكن معرفتها أو تحديدها.

***

(يوسف) يخبر (مصطفى) بأن يمسك الثقاب لكي يشعل الشمعة، صوت احتكاك عود الثقاب وهو يشتعل، ثم الشمعة وقد توهج نورها، أين أصدقاؤه!!!

المقاعد خاوية ولا أثر لهم، أخذ ينظر يمينًا ويسارًا برعب وهو يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم، حتى سمع خطوات أقدام ثابتة تأتي من الطرقة!

نادى بأعلى صوته:

- من أنت؟!

لم يتلقَ ردًا، بل أخذت الخطوات تقترب حتى دخل صاحبها في مجال ضوء الشمعة.

كان (يوسف) يرى الآن رجلاً وقورًا طويل القامة وسيم الملامح أبيض الوجه، يمتلك خصلات ناعمة من الشعر انسدل بعضها على جبينه ليعطيه مزيدًا من الوسامة، يرتدي قميصًا وسروالاً وعلى شفتيه ارتسمت ابتسامة مطمئنة، لن يمكننا بالطبع وصف دهشة (يوسف) وهو ينظر إلى هذا الرجل بذهول!!!

أما الرجل فقد أخذ أحد المقاعد الخالية ووضعها أمام مقعد (يوسف)، ثم جلس عليها ووجهه في وجه (يوسف).

- كيف هي أحوالك يا (يوسف)؟!

- ؟!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!

ضحك الرجل من نظرة الاندهاش المرتسمة على وجهه (يوسف)، وقال له:

– لك عندي يا (يوسف) معزة خاصة منذ قديم الزمن.. لذلك فأنا أدين لك بالتفسير، اسأل وأنا أجيب.

ظل (يوسف) ينظر لحظات طويلة لا يقدر على الكلام، حتى انفكت عقدة لسانه فقال كأنما انتبه فجأة لما يحدث:

– من أنت؟

اعتدل الرجل في مجلسه ثم ارتسمت على وجهه ابتسامة وهو يقول:

– أنا.. أنا المخلي، المخلي بن ذاعات.. هل عرفتني يا صديقي؟

***

16

مرحبًا بصديقي القديم

(يوسف) يجلس وعلى وجهه علامات الذهول وينظر للرجل الذي يجلس أمامه، لا يعرف ماذا يفعل.

كان الرجل مازال ينظر إلى (يوسف) مبتسمًا، وكأنه يطمئنه بتلك الابتسامة الودود، فلما طالت النظرات بين الطرفين قال الرجل الجالس:

- يبدو أنك مندهش من مظهري يا (يوسف)، لا تندهش، فقد اخترت أن أظهر لك بمظهر رجل وسيم كي لا تفزع من شكلي الحقيقي، فأنا لا أريد إفزاعك يا صديقي، فكما قلت إن لك معزة خاصة عندي.

- ماذا يحدث!! أنا لا أفهم شيئًا؟!

- اعذرني يا صديقي، فلو كنت في نفس مكانك لفعلت مثلما فعلت أنت، لذلك سأفسر لك الحكاية منذ البداية، قم معي..

بعد أن انتهى (المخلبي) من جملته وقف فـاردًا قامتـه، منتظـرًا (يوسف) أن ينهض مثله.

كان (يوسف) كالمنوم مغناطيسيًا، لا يملك معظم إرادته، فلم يفعل شيئًا سوى أن ينهض وهو مذهول ناظرًا إلى (المخلبي)، الذي تـأبط ذراعه وكأنه صديق قديم، ثم بدأ يمشي هو و(يوسف) ليخرجا مـن دائرة الضوء، هنا اختفت الشقة ولم يعد (يوسف) يراها، وظهر أمام عينه مشهدًا غريبًا..

حرب طاحنة تدور بين جيشين عظيمين، ويبدو أن أحد الجيشين كان منظمًا من حيث تقسيمه،كانت أشكال الجنود في الجيشين تُـثير الرعب في القلب، لا يمكن وصف أشكالهم..

قال (المخلبي) وهو مازال يتأبط ذراع (يوسف):

- أنا المخلبي بن ذاعات، منذ مئات السنين كنت قائـدًا قويًـا لجيوش ممالك الجان المسلمين، وكانت الانتصارات تتوالى على يدي، ومن خلال إخلاص جيشي لي.. فقد كانوا يحترمونني بشدة.. وبدون أن يعلم باقي القواد، كنت أتدخل في عالمكم، وكان البشر يستعينون بي في حياتهم لينالوا عطفي وإحساني.

تغير المشهد هنا ليظهر أربعة من الشباب يرتدون ملابس باليـة قديمة لا تمت لعصرنا، يجلسون ملتفين حول شمعة ويقولون كلمـات بصوت غير مسموع، وبعيدًا عنهم بعض الشيء جلس شاب وسيم ذو عينين ثاقبتين وحاجبين كثيفين، نظراته تمتلئ بالخبث والمكر.

كان هؤلاء الشباب يرددون كلامًا بلغة غريبة.

فقال (المخلبي):

– هؤلاء هم من قرأت عنهم في الورق الذي امتلكته، هذا الذي يجلس بعيدًا عنهم هو فتى يدعى (الحي بن القصاب)، وقد أراد أن يمتلك خُدّامًا من الجان يسخرهم ويفعل بهم ما يشاء.. فأعطاه أحد خُدّامي كلمات وأعطاه طلبات لو حققها لأهديت له خُدّامًا يكونون تحت تصرفه، لقد طلبت منه أن يقدم لي أربعة قرابين بشرية يقرأون كلمات تعني بأنهم سيضحون بأرواحهم من أجلي أنا، فأخذ هذا الساحر هؤلاء الأربعة وأقنعهم انهم سيصيرون أغنياء بعد أن يقرأوا تلك الكلمات، وبالفعل قرأوا الكلمات وتم الاتفاق، وأهديت (الحي بن القصاب) 100 من أنفار الجان ليخدموه حتى يموت، أما الأربعة الباقون فقد بدأت في قتلهم واحدًا واحدًا، ماعدا آخر شخص..

هنا تغير المشهد الذي يراه (يوسف)، ليصير في بيت غريب الشكل ويجلس فيه أحد هؤلاء الشباب الأربعة وهو مغمض العينين ويتكلم مع كائن مرعب الهيئة.

أكمل (المخلبي) قائلاً:

كان الأخير هو (إسماعيل بن عبد الله)، وكنيته (إسماعيل الحلاج)، هذا الشاب فهم ماذا يحدث، فبدأ بترديد اسمي كثيرًا، وقد حفظه من الكلمات التي علمها له الساحر، أخذ يردد اسمي ليلاً حتى بعثت له أحد خُدّامي ليحدثه ويفهم ماذا يريد منه، فقال إنه يريد الأمان وأن

يعيش بسلام، فبلغه خادمي أنه معد كقربان لي أنا. فقال إنه يريد أن يقدم لي قربانًا أعظم.

فعقد معي اتفاقًا، أن أتركه يعيش بأمان وأعطيه خدامًا من عندي، مقابل أن يقدم لي قربانًا كبيرًا، سيقدم لي أهل قريته كلهم قربانًا.

عند تلك الكلمة شهق (يوسف)، واتسعت عيناه وقد بدأ يشعر بالأهوال التي حدثت في ذلك الزمان، فأكمل (المخلبي):

- خرج (إسماعيل) لبلدته، وقال بأنه رأى رؤية أن القرية بها مرض غريب كالذي مات به الثلاثة السابقون، وأن النجاة من ذلك المرض بأن يقول الرجل كلمات معينة تنجيه بعمره، فقالت معظم القرية الكلمات التي علمتها لـ (إسماعيل)، ثم هرب هو وترك القرية لي، فمن قال منهم الكلمات أخذته كقربان وقتلته، ومن لم يقل هرب من القرية من هول ما رأى.

- هل (إسماعيل) هذا سفاح أم ماذا؟

كانت تلك العبارة من (يوسف) وهو مشمئز مما يرويه له (المخلبي) عن (إسماعيل)، فتغيرت الصور أمام (يوسف) ليرى (إسماعيل) وهو يتمشى في الصحراء ويحمل علي ظهره أشياء غريبة!!

نظر (المخلبي) لـ (يوسف) بغضب وهو يقول:

- تحدث باحترام يا فتى، يبدو أن والديك لم يعتنوا بتربيتك جيدًا، كيف تتكلم عن جدك الأكبر بهذه الطريقة؟

***

- جدي أنا؟!

ضحك (المخلبي) طويلاً حتى قال:

- جدك (إسماعيل) عقد معي اتفاقًا، وهو أن أمنحه الخُدّام والقوة وهو يمنحني القرابين البشرية، ولكن هناك بند في الاتفاق نسيت أن أذكره لك.

حفيد (إسماعيل) الخامس عليه أن يجدد الاتفاق معي مرة أخرى، أي يعطيني قربانًا بشريًا وأعطيه أنا القوة، وأنت الحفيد الخامس لإسماعيل يا بني.

شهق (يوسف) هذه المرة وهو يرتجف من تلك الكلمات، ماذا يحدث بالضبط، عفاريت واتفاقات مع الجن وأجداد سحرة، رباه ماذا يحدث لي؟!

ظهر أمام (يوسف) فجأة مشهد غريب..

منزل مزخرف ومليء بالوسائد الملونة، وتنتشر في سقفه قناديل عديدة الألوان تضيء بلون خلاب.. وعلى الأرض يجلس رجل عجوز وهو يصلي ويسجد لله.

قال (المخلبي):

- ولكن في آخر سنوات من حياة جدك أحس بأنه أخطأ باتفاقه معي، فأخذ يصلي ويحج ويعتمر ويتضرع إلى الله تائبًا، ولم يكتف بذلك، بل فعل ما هو أشد!

لقد زادت قوة جدك بخُدّامه الذين أعطيتهم له، فطلب من خُدّامه أن يأخذوه إلى داخل عالم الجن المسلم، وهناك أفشى الاتفاق الذي

كان بيني وبينه، وأفشى أنني من قتلت القرية كلها وأعطيته خُـدّامًا ليخدموه، وكنت أنا أحد أكبر قواد جيوش عشائر الجن، وتحت إمرتي جحافل من جنود الجن يطيعونني طاعة عمياء.

فتم الحكم عليّ من مجموع القبائل بالسجن بقية حياتي، والحكم على الجنود الذين ساعدوني في أعمالي بالتفرقة في الجبال والوديـان وعدم معرفة المكان الذي سُجنت فيه.

تبًا لهم، لقد أرسلوا القائد (يصفيدش) خصيصًا ليقوم بهذه المهمة، ويقوم باصطيادي وتفرقة جنودي.

ثم ابتسم بخبث وقال:

– ولكن أنت لا تعرف، لي ثلاثة حراس شخصيون من أخلـص رجالي، عملوا على معرفة الكلمات التي سُجنت بها والتي طالما كانت منقوشة على قيودي لا أستطيع التحرك، وعرفـوا كيفيـة فكهـا وتحريري، وكانت المفاجأة أنني أحتاج لبشر يردد تلك الكلمات، لأنه لو رددها أحد أتباعي من أنفار الجن فسيعلم قـواد الجـن مكانـه ويحرقونه، أما لو رددها بشر فلن يعرف قواد الممالك بترديدها..

فتشكل أحد حراسي الثلاثة على هيئة لحاد البلدة التي دمرتهـا، وظهر لـ (أحمد بن إسحاق) وأعطاه الورق المكتوبة به كلمات فك قيدي واجتماع رجالي، ولكن (ابن إسحاق) لم يردد الكلمـات، ولم يفهم، وحرق العلماء كتابه الذي دوّن به الكلمات، فتشكل حارسي الثاني على هيئة تلميذ (ابن إسحاق) المدعو (عبد الرحمن بن إبراهيم)، وكتب الكلمات والحكاية مرة أخرى كي يقرأها شخص ما، كتـب

حكاية الساحر والأربعة والبلدة، ولكنه غير الكلمات التي قالها الساحر والأربعة وجعلها الكلمات التي تفك قيدي وتحرر جيوشي مرة أخرى.

وبعد سنين طويلة، وبعد ولادتك، قرر حراسي أنك الحفيد الخامس لـ (إسماعيل) وأنك يجب أن تردد تلك الكلمات بأي ثمن حتى تعيديني مرة أخرى، فظلوا يتتبعونك سنوات طويلة، يمشون وراءك كظلك ويقومون بالتشكل لك في أيام كثيرة، ولكنك كنت تتجاهلهم.

حتى تشكل لك حارسي الثالث في صورة رجل عجوز وأوهمك بوجود كشك لبيع الكتب، وجعل الورق أمامك حتى تأخذه، وقد كان.. أما أحد أصدقائي من قواد الجن فقد أرسل لي هدية لكي يساعد في عودتي، فقد أرسل أحد أتباعه وهو الغوال ليتشكل لكم في شكل صديقك (حامد)، ليستفزكم لتقرأوا الكلمات وأعود يا صديقي مرة أخرى من سجني.

هل نقول أن (يوسف) قد جُنّ؟ ربما لا نبالغ لو قلنا إنه قد فقد إدراكه أو إحساسه بالزمن، لم يملك إلا أن قال بصوت خفيض كأنه يحدث نفسه:

- لقد رأيت حلمًا شاهده كل أصدقائي، ما تفسيره؟

- آه، أنت تتحدث عن حلم القربان، كل من يُعد كقربان يشاهد هذا الحلم، ومن يشاهد هذا الحلم يعلم أنه سيكون قربانًا عاجلاً أم آجلاً.

- إذن أنا قربان؟

- أنت من تُحضر القرابين، ولكنك شاهدت الحلم لغــرض في نفسي أنا.

- وحبيبة؟ لم شاهدت الحلم؟

ابتسم المخلبي وغمز بعينيه وهو يقول:

- لها وقتها فلا تتعجل.

هنا قال (يوسف) وعيناه تذرفان الدموع:

- أصدقائي.. ماذا فعلت بأصدقائي؟

- هل هذا سؤال يا بني؟ قتلتهم بالطبع، فهم القربان البــشري لرجوعي، وقد قدمتهم لي كما اتفقنا أنا وجدك منذ مئات السنين.

مازالت الدموع تذرف من عين (يوسف) وهو ينظــر لــلأرض ويستعيد أحداث تلك القصة مرة أخرى.

***

- بكم ذلك الكتاب يا حاج؟

ولوح (يوسف) بالورقات ناحية العجوز ليراها، ولكن العجوز رد بسرعة:

- عشرة جنيهات.

***

(عن رواية الرحالة أحمد بن إسحاق البغدادي رحمه الله وأسكنه فسيح جناته).

***

ضحك الجميع بما فيهم (يوسف)، ثم بدأ يتكلم في جدية:

- لقد عثرت على مخطوطة نادرة جدًا.

- ؟!!!!!!!!!!

- يعني إيه مخطوطة؟!

***

لن تجده في سور الأزبكية الآن لأنه في مقبرته، لقد تُوفي عم (صبحي) منذ ما يقارب السبعة عشر عامًا، وكان يمتلك كشكًا بجانب هذا الكشك فعلاً، ولكن يبدو أن أحدهم قد وصف لك المكان والشخص، ماذا يحدث لك يا بني؟ لماذا أنت مندهش هكذا؟

اجلس يا بني، فالإعياء يبدو عليك بشدة، هل أنت من طرف أحد أقربائه أم ماذا؟

***

اعوذ بكم يا أهل وادي الجن، أعوذ بالملك الأحمر، وأعوذ بسمسائيل، وأعوذ بالمخلي بن ذاعات، وأعوذ بسيد وادي العداة وسيد وادي القرنيم.

***

هل رأيت نظرة الخروف وهو يرى السكين التي سيُذبح بها؟! ربما سنجده ينظر لها بهدوء وبتسليم، فلن يستطيع فعل شيء بالتأكيد، هذه هي النظرة التي نظر بها (يوسف) للمخلبي أمامه وهو يقول:

- إذن فقد قدمت لك أعز أصدقائي كقربان لك وقمت بإعادتك من سجنك مرة أخرى، ماذا تريد مني الآن؟ هل ستعطيني الجن الذي سيخدمني أم ستقتلني؟!

لأول مرة لم يبتسم (المخلبي) منذ بداية الحديث، لقد ارتسم على ملامحه الغضب وهو ينظر لـ (يوسف) للحظات مرت على الأخير كأنها ساعات، ثم قال:

- عقدت اتفاقًا مع جدك، ولكن جدك نقض اتفاقنا وخانني وجعلني أُسجن كل تلك السنوات، هل تعتقد أنني لن أنتقم منك يا بني؟ للأسف سأقتلك انتقامًا من جدك، ولكنه لن يكون قتلاً عاديًا!

بل سأعذبك حتى تتمنى الموت فلا تجده، ستموت بأشنع طريقة تتخيلها يا بني، صدقني أنا أشفق عليك وأرتجف مما سأفعله بك، ولكني واثق أنك ستجد عذرًا لي.

وهنا ارتفع صراخ (يوسف) بحرقة..

13

انتهاء العودة

الظلام يحيط بالشقة من جميع جوانبها، بالطبع نحن لا نرى خلف الظلام، ولكن صدقني لن تريد رؤية تلك الأشياء التي يحيط بها الظلام.. انتظر.. هناك صوت خطوات ثقيلة تتحرك باتجاة المنضدة التي كان الأصدقاء يجلسون عليها.

يد ما تمسك بعلبة الثقاب الموضوعة على المنضدة، ثم يشتعل عود ثقاب ويتجه ليشعل، الشمعة تشتعل الآن ليظهر على ضوئها الكثير والكثير من الأشياء المرعبة.

ولكن أكثر تلك الأشياء رعبًا هو الشخص الذي أشعل عود الثقاب ليضيء الشمعة، لقد كانت له خلقه مريعة.. ماذا؟! إنه (المخلبي) بنفسه، الوجه المستطيل ولون الجلد الغريب.

ولكن هذه المرة هناك شيء مميز بوجهه، لقد سقط الضوء على وجهه ليظهره وهو يبتسم، وحوله تناثرت جثث الأصدقاء.

***

إلى اللقاء في الجزء القادم

(مخطوطة بن إسحاق)

المرتد

حسن الجندي



حسن الجندي

اجتمع الساحر بالفقراء الأربعة، ثم جعلهم يحفظون هذه الكلمات: سمامها طولام فقدشبينا يوهانيط سمسمائيل يصيفيدش احرق كل من عصى أمرك بحق إصطفار وبيوم عمياخ وبحياة هليع بحق إصطفار وبيوم عمياخ وبحياة هليع يا من تسمعون في وادي القرنيم بحق سيدكم وبحق مقبلكم فكوا قيد بن ذاعات فيدعاهاط موسماعل حتى إذا حضرتم أحرقم الجبار بحق وصيل مشموهوه.

غلاف : محمد عزت





daroktob.com

دار اكتب للنشر والتوزيع

DAR OKTOP PUBLISHING HOUSE